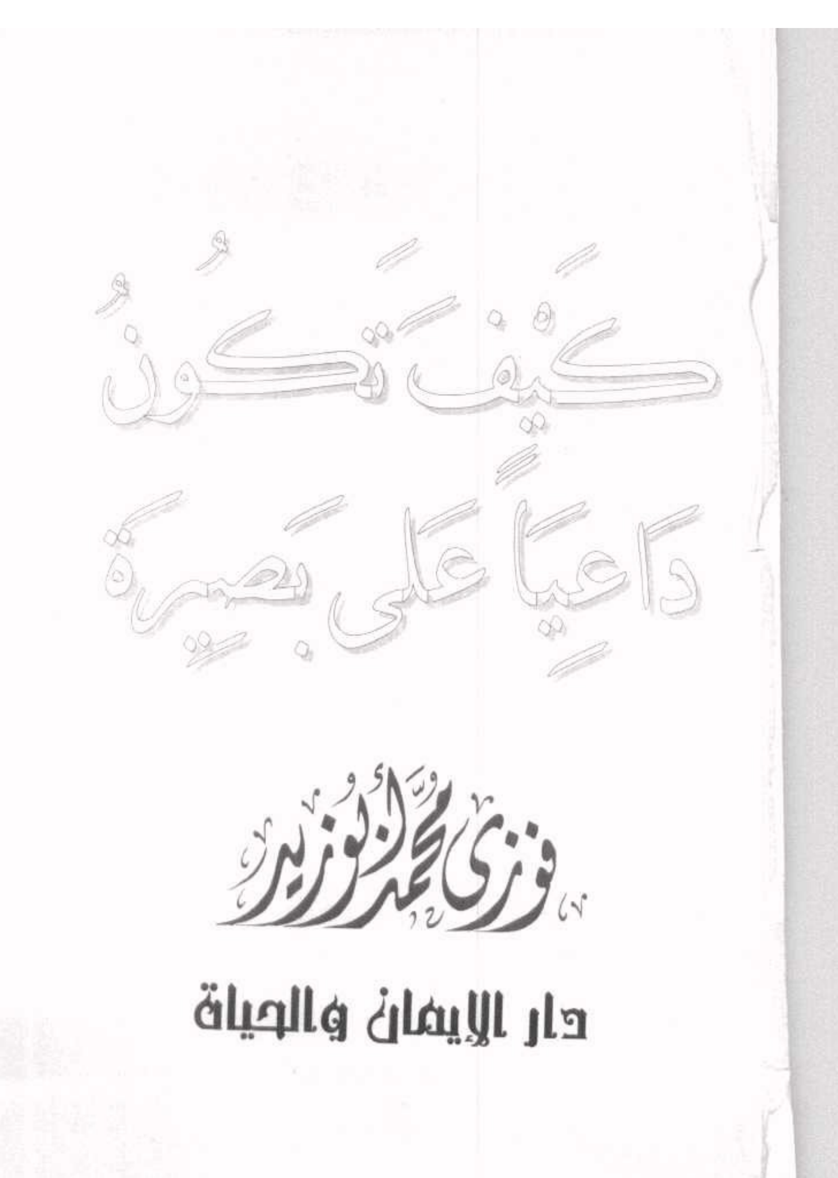


كيف تكون داعياً على بصيرة

فوزي محمد أبو زيد

دار الإيمان والحياة



الكتاب	كيف تكون داعياً على بصيرة
المؤلف	الأستاذ فوزي محمد أبوزيد
الطبعة الأولى	٣ ربيع الأول ١٤٣٠هـ، ٢٨ فبراير ٢٠٠٩م
عدد الصفحات	١٢٨ صفحة
المقاس	١٢ سم * ١٧ سم
الورق	٨٠ جم
الطباعة الداخلية	٢ لون
الغلاف	كوشيه لميع ٢٥٠ جرام
طباعة الغلاف	٤ لون، سلوفان لميع
إشراف	دار الإيمان والحياة – ١١٤ ش ١٠٥ – المعادى القاهرة، ج م ع، ت: ٢٥٢٥٢١٤٠-٢-٠٠٢٠
طباعة	دار نوبار للطباعة
رقم إيداع محلى	٢٠٠٩/٥٣٦١
ترقيم دولى	ISBN: 977-17-6779-8

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾

(١٠٨ يوسف)

مُقَدِّمَة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله العليم الحكيم . . والصلاة والسلام على نبيه الرؤوف الرحيم سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين . . . وبعد

ربّى النبى ﷺ صحابته الكرام على تقوى الله وطاعته والعمل بشريعته، وقد أكرمهم الله ﷻ جميعاً فتأسّوا بحضرته وتعلقوا به وأحبّوه حبّاً قال فيه الله جل فى علاه:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ (١٦٥ البقرة)

حتّى فتح الله ﷻ عليهم بفتوحاته الوهبية، واختّصهم بعطاءاته القدسية؛ فاستنارت بصائرهم، وساحت فى الملكوت الأعلى أرواحهم، وجاشت بالحقائق صدورهم، ونطقت بعلوم الحكمة والإلهام ألسنتهم، فكانوا بحق كما قال الله ﷻ فى شأنهم:

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ (١٠٨ يوسف)

فكان لكلامهم وقعٌ فى القلوب ولأحوالهم تأثيرٌ فى النفوس، وهذا هو المنهج الذى ارتضاه الله ﷻ للدعاة الحكماء فى كل زمان ومكان – هذا

بالطبع من بعد تحصيل العلوم الأساسية اللازمة للداعية من علوم الشريعة المطهرة، وعلوم القرآن الكريم ، وعلوم الحديث النبوى والسيرة النبوية ولغة العرب-، والمنهج الذى يوصل لذلك قد فصلناه فى هذا الكتاب وموجزه:

١- تحرّى المطعم الحلال .
٢- طلب العلم النافـــــع .
٣- القيام بفرائض الله مع حضور القلب والخشوع لجلال الله .
٤- حفظ الجوارح من المعاصى والفتن ما ظهر منها وما بطن .
٥- إنشغال القلب بالكلية بالله ﷻ ، ومراقبته سبحانه وتعالى فى السرّ والعلن .
٦- التخلُّق بأخلاق النبى المختار وصحابته الأبرار .
٧- المداومة على ذكر الله والأعمال الصالحة الموصلة لرضاه .

فإذا واظب المرء على ذلك، فى صحبة رجل تقىّ نقىّ عَمِل بما عَلِم فورّثه الله عِلم ما لم يكن يعلم؛ أكرمه الله ﷻ بالفتح المبين ! . فيفتح له سبحانه أبواب قربه ورضاه . . ، ويفتح عليه بالخصوصيات التى نالها الصالحون من عباد الله . . ويفتح به قلوب المخلصين والصادقين من عباد الله . . ويكون نوراً لمن حوله يجذبهم من ظلمات الجهالة وضلالة البعد ! إلى نور القرب والأنس . . من القريب جل فى علاه ! ! ! وما أجمل وصف الرجل

الصالح لهذا الصنف العزيز من الدعاة حيث يقول:

تحيا بهم كل أرض ينزلون بهـــا كأنهم لبقـــاع الأرض أمطار

وتنظر العين منهم منظراً حسناً كأنهم في عيون الناس أقمار

وقد بشرهم النبي ﷺ بقوله في الحديث الشريف[١] :

{طُوبَى لِلْمُخْلِصِينَ أُوْلَئِكَ مَصَابِيحُ الْهُدَى تَنْجَلِي عَنْهُمْ كُلُّ فِتْنَةٍ ظَلْمَاءَ}

وبيَّن ﷺ قدرهم ومقدارهم؛ فقال في شأنهم:

{ فَضْلُ العَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلي عَلَى أدْنَاكُمْ، إنَّ اللهَ ﷻ وَمَلائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةُ فِي جُحْرِهَا وَحَتى الْحُوتُ فِي البَحْرِ لَيُصَلُّونَ على مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرِ }[٢]

وقد سلك الصالحون هذا المنهج؛ فصاروا في الناس سادة . . ولهم قادة، ولهم في الآخرة الحسنى وزيادة، وقد قال الدكتور عبد الحليم محمود رحمه الله رحمة واسعة في ذلك[٣]:

---

١ الترغيب والترهيب ، عن ثوبان رضي الله عنه
٢ أخرجه الإمام الترمذي عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه
٣ كتاب (أبو الحسن الشاذلي) للدكتور عبد الحليم محمود، صـــ ٣٢.

(ومن المعلوم فى الأعراف الدينية أن الدعاة على قسمين:

١- دعاة إلى الله، قد أذن الله لهم فى نطاق الإذن العام أو الواجب العام فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر:

وهؤلاء يتفاوت تأثيرهم بتفاوتهم فى صفاتهم من صفاء النفس، وطلاقة اللسان، وفى العلم بالكتاب الكريم والسنة الشريفة، وبعضهم لا تأثير له قط ! لأنه لم تصْفُ نفسُهُ . . أو لأن به لُكنَة ! أو لجهله الكتاب والسنة ! ! أو لغير ذلك من الأسباب .

٢- والقسم الثانى من الدعاة هم الذين يدعون على بصيرة وهم الذين قد أذنوا بإذن خاص وأمروا بأمر خاص: إنهم هؤلاء الذين سمعوا النداء، وهم لم يسمعوا النداء مصادفة واتفاقاً، كلا إنهم جاهدوا أنفسهم حتى أطاعت ! وغذوا قلوبهم بالطاعات حتى استنارت ! ! وأصبح سرهم مع الله . . فأضحوا من أولياءه) .

وهم ينتظرون الإذن فى كل شئ من الأمور حتى المباح منها، فضلاً عن الإذن الخاص بالدعوة، يقول الشيخ أبو الحسن الشاذلى ﷺ مفسراً معنى الإذن فى المباح ومعنى الإذن فى حق الولى:

(نور ينبسط على القلب يخلقه الله فيه وعليه، فيمتد ذلك النور على

الشيء الذي يريد فيدركه نورٌ مع نور ! ! أو ظلمةٌ تحت نور ! ! فذلك النور ينبئك أن تأخذ إن شئت ! أو تترك ! أو تقبل ! أو تدبر ! أو تعطى ! أو تمنع ! أو تقوم ! أو تجلس ! أو تسافر ! أو تقيم ! . . . هذا من باب المباح المأذون فيه بالتخيير، فإذا قارنه القول تأكد الفعل المباح بمراد الله تعالى، فإن قارنته نيّة صحيحة لفعل برز عن حكم المباح وعاد مندوباً .

وإن ظهرت الظلمة تحت النور الممتد من القلب ؟

فلا يخلو أن يلوح عليها لائح القبض بانقباض القلب، فاحذر ذلك ! وتجنبه ! فإنه المحذور أو يكاد، ولا تقطع ذلك إلا ببينة من كتاب الله ﷻ أو سُنة أو إجماع، فإن تلك الظلمة شبة غيم لا ينصدع معه القلب ولا يتفرغ به الذهن فتباعد عنه فإنه يكاد يكون مكروهاً . . ولا تحكم بعقلك ورأيك فقد ضل من هنا خلق كثير ! !، وأصحاب هذا النور يدعون إلى الله بكيانهم كله . . إن صمتهم دعوةٌ إلى الله !، وإن سيرهم دعوةٌ إلى الله !، وإن جلوسهم دعوةٌ إلى الله !، وإن عملهم دعوةٌ إلى الله !، وإن حديثهم دعوةٌ إلى الله !، ويستجيب لهم الناس سراعاً بمقدار ما في قلوب الدعاة من خير ! وما في أفئدتهم من إيمان !، وينأى عنهم من ليس له في الخير نصيب !، ويحاربهم من حقت عليهم كلمة العذاب) انتهى .

نسأل الله ﷻ أن يرزقنا العلم النافع، والعمل الرافع، والقلب الخاشع، والنور الساطع، وأن يجعلنا للمتقين إماما .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

كان الفراغ منه . . مساء الخميس . .

الرابع من المحرم ١٤٣٠ هـ، الموافق للأول من يناير ٢٠٠٩م .

بالجمعية العامة للدعوة إلى الله بحدائق المعادي بالقاهرة .

فوزي محمد أبوزيد

: الجميزة ، محافظة الغربية ، جمهورية مصر العربية
: ٠٠٢٠-٤٠-٥٣٤٠٥١٩
: ٠٠٢٠-٤٠-٥٣٤٤٤٦٠
WWW.fawzyabuzeid.com :
fawzy@fawzyabuzeid.com :
fawzyabuzeid@hotmail.com
fawzyabuzeid@yahoo.com

الفصل الأول

منهج الداعي الحكيم

إن الداعي إلى الله ﷻ على حكمة من أمره وبصيرة من ربه، هو الذي يجمّله الله بلسان البيان، وأخلاق القرآن، ورحمة النبي العدنان وعلوم أهل الأذوَاق والعرفان، وفي هؤلاء الدعاة الحكماء يقول أبو العزائم ﷺ :

{ لهم حال مع الله يجذب الكافر والنافر، فما بالك بالمؤمن المطيع ! }

ويقول الإمام أحمد ابن عطاء الله السكندري ﷺ في حكمه:

{ تسبق أنوارهم أقوالهم، فتجذب القلوب، وتؤهّلها للسماع المطلوب.}، ويقول أيضاً: { حالُ رجلٍ في ألف رجلٍ؛ خيرٌ من كلام ألف رجلٍ في رجلٍ واحد }، ويضيف أيضاً ﷺ مبيناً سبب إقبال الخلق عليهم: { كُلُّ كلام يَبْرز وعليه كسوةٌ من نور القلب الذي خرج منه }

وفي هذا أيضاً يقول الإمام أبو العزائم ﷺ:

{ إذا كان الكلام عن النور حدثَ لسامعيه السرور }

والمنهج الذي يبني عليه هذا الداعي الحكيم دعوته . . الداعى الذى يدعو على بصيرة من أمره – من بعد من بعد تحصيل العلوم الأساسية اللازمة له من علوم الشريعة، وعلوم القرآن الكريم ، وعلوم الحديث النبوى والسيرة النبوية ولغة العرب كما أشرنا بمقدمة الكتاب– يبنيها على أمور :

أولاً: . . . أن يجعل الإخلاص لله رائده . . في كل قول . . أو حركة . . أو سكنة . . ؛ فيطلب العلم أولاً ليعمل به في نفسه؛ رغبة فيما عند الله ﷻ، ويجعل نصب عينيه قوله ﷺ :

{ مَنْ غَدَا يُرِيدُ الْعِلْمَ يَتَعَلَّمُهُ لِلّهِ، فَتَحَ اللّهُ لَهُ بَاباً إلى الْجَنَّةِ، وَفَرَشَتْ لَهُ الْمَلاَئِكَةُ أَكْنَافَهَا، وَصَلَّتْ عَلَيْهِ مَلاَئِكَةُ السَّمواتِ، وَحيتانُ الْبَحْرِ، وَلِلْعَالِمِ مِنَ الْفَضْلِ عَلَى الْعَابِدِ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ على أصْغرِ كَوْكَبٍ فِي السَّمَاءِ، وَالْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، إنَّ الأَنْبياءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَاراً وَلاَ دِرْهَماً، وَلكِنَّهُمْ وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظِّهِ، وَمَوْتُ الْعَالِمِ مُصِيبَةٌ لاَ تُجْبَرُ وَثُلْمَةٌ لاَ تُسَدُّ وَهُوَ نَجْمٌ طُمِسَ، مَوْتُ قَبِيلَةٍ أَيْسَرُ مِنْ مَوْتِ عَالِمٍ } ٤.

وليحذر مما حذر منه رسول الله ﷺ في قوله ﷺ :

---

٤ عن أبي الدرداء ﷺرواه أبو داود وابن حبان والبيهقي وهذا لفظه

{ لا تَتَعَلَّمُوا العِلْمَ لِتُبَاهُوا بِهِ العُلَمَاءَ وَلِتُهَادُوا بِهِ السُّفَهَاءَ وَلِتَصْرِفُوا بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْكُمْ، فَمَنْ فَعَلَ ذلِكَ فَهُوَ فِي النَّارِ }٥

ثانياً: . . أن يبدأ الداعى الحكيم البصير . . . يبدأ بنفسه أولاً . . ثم بأهله٦ . . ثانياً، ثم الأقرب فالأقرب . . ،عملاً بقوله ﷺ:

{ إبْدأْ بِنَفْسِكَ، ثُمَّ بِمَنْ تَعُولُ }٧

وأن يجعل الداعية الحكيم ديدنه دائماً وأبداً ، قول الإمام عليّ كرّم الله وجهه– وقيل نسب هذا القول إلى أبى الأسود الدؤلى وكان تلميذاً للإمام عليّ، وقيل أيضاً نسب لإبن السماك٨ فقد ورد أنه ﷺ وعظ يوماً فأعجبه وعظه، ثم رجع إلى منزله ونام، فسمع قائلاً يقول هذه الأبيات من الشعر، فانتبه ! وآلى على نفسه أن لا يعظ شهراً – وهى :

يَأَيُّهَا الرَّجُلُ المُعَلِّمُ غَيْرَهُ   هَلاَّ لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمُ
تَصِفُ الدَّوَاءَ لِذِي السِّقَامِ وَذِي الضَّنَى   كَيْمَا يَصِحُّ بِهِ وَأَنْتَ سَقِيمُ
وَنَرَاكَ تُصْلِحُ بِالرَّشَادِ عُقُولَنَا   أَبَداً وَأَنْتَ مِنَ الرَّشَادِ عَدِيمُ

---

٥ رواه ابن ماجة من حديث جابر بإسناد صحيح
٦ ولنا فى ذلك فصل كامل فى هذا الكتاب، الفصل الثانى: دعوة الرجل لأهله وذويه.
٧ رواه الطبراني عن حكيم بن حزام، ورواه الشيخان عن أبي هريرة ﷺ.
٨ مرآة الجنان وعبرة اليقظان، شرح شذور الذهب فى أخبار من ذهب، المستطرف في كل فن مستطرف

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها	فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يسمع ما تقول ويشتفى	بالقول منك وينفع التعليم
لا تنه عن خلق وتأتي مثله	عار عليك إذا فعلت عظيم

ثالثاً: . . . أن يقصد بتعليمه الخلق وجه الله تبارك تعالى:

عملاً بقول رسول الله ﷺ لسيدنا أبي ذر ﷺ:

{ يَا أَبَا ذَرٍّ لأَنْ تَغْدُوَ فَتَعَلَّمَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ مِائَةَ رَكْعَةٍ، وَلأَنْ تَغْدُوَ فَتَعَلَّمَ بَاباً مِنَ الْعِلْمِ عُمِلَ بِهِ أَوْ لَمْ يُعْمَلْ بِهِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ أَلْفَ رَكْعَةٍ }[9] وقوله ﷺ:

{أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ أَنْ يَتَعَلَّمَ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ عِلْماً، ثُمَّ يُعَلِّمَهُ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ}[10]

رابعاً: . . . ألاَّ يطلب الدنيا بعلمه ! . . . وذلك عملاً وحذراً مما ورد عنه حديثه ﷺ أنه قال في الحديث الشريف منبهاً ومحذراً:

{ من طلب علماً مما يُبتغى به وجه الله تعالى ليصيب به عرضاً من الدنيا

---

[9] عن أبي ذر ﷺ رواه ابن ماجه بإسناد حسن

[10] رواه ابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه

لم يجد عرف الجنة يوم القيامة }١١

ومما روى عن النبي ﷺ أيضاً أنه قال:

{ أوحى الله ﷻ إلى بعض الأنبياء: قل للذين يتفقهون لغير الدين، ويتعلمون لغير العمل، ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة، يلبسون للناس مسوك الكباش وقلوبهم كقلوب الذئاب، ألسنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم أمر من الصبر، إياي يخادعون، وبي يستهزءون: لأفتحن لهم فتنة تذر الحليم حيرانا }١٢.

فإن أقل درجات العالم أن يدرك حقارة الدنيا !وخستها! وكدورتها!! وزوالها!، وعظم الآخرة ودوامها وصفاء نعيمها وجلالة ملكها، ولذلك قال الحسن رحمه الله: { عقوبة العلماء موت القلب، وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة }

وقال يحي بن معاذ ﷺ أيضاً:

{ إنما يذهب بهاء العلم والحكمة إذا طلب بهما الدنيا }

وقال عمر بن الخطاب ﷺ: { إذا رأيتم العالم محباً للدنيا فاتهموه

---

١١ عن أبي هريرة رضي الله رواه أبو داود وابن ماجة بإسناد جيد
١٢ رواه ابن عبد البر، عن أبي الدرداء رضي الله عنه

على دينكم، فإن كل محب يخوض فيما أحب }١٣

وقال مالك بن دينار رحمه الله: { قرأت في بعض الكتب السالفة أن الله تعالى يقول: إن أهون ما أصنع بالعالم إذا أحب الدنيا أن أخرج حلاوة مناجاتي من قلبه }.١٤

وفي أخبار داود عليه السلام حكاية عن الله تعالى:

{ إن أدنى ما أصنع بالعالم إذا آثر شهوته على محبتي أن أحرمه لذيذ مناجاتي. يا داود لا تسأل عني عالماً قد أسكرته الدنيا فيصدك عن طريق محبتي، أولئك قطاع الطريق على عبادي. يا داود إذا رأيت لي طالباً فكن له خادماً. يا داود من رد إلي هارباً كتبته عندي جهبذاً ومن كتبته جهبذاً لم أعذبه أبداً }١٥

وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله ﷺ:

{ عُلَمَاءُ هذِهِ الأُمَّةِ رَجُلاَنِ: رَجُلٌ آتاهُ اللّهُ عِلْماً فَبَذَلَهُ لِلنّاس، وَلَمْ يأْخُذْ عَلَيْهِ طَمَعاً، وَلَمْ يَشْتَرِ بهِ ثَمَناً فَذلِكَ تَسْتَغْفِرُ لَهُ حِيتَانُ الْبَحْرِ، وَدَوَابُّ الْبَرِّ، وَالطَّيْرُ فِي جَوِّ السَّمَاءِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللّهُ عِلْماً فَبَخِلَ بهِ عَنْ عِبَادِ

١٣ إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي
١٤ إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي
١٥ إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي ، و الجهبذ هو العالم الكبير

اللَّهِ، وَأَخَذَ عَلَيْهِ طَمَعاً، وَشَرَى بِهِ ثَمَناً فَذلِكَ يُلْجَمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَام مِنْ نَارٍ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: هذَا الَّذِي آتَاهُ اللَّهُ عِلْماً فَبَخِلَ بِهِ عَنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَخَذَ عَلَيْهِ طَمَعاً، وَاشْتَرَى بِهِ ثَمَناً، وَكَذلِكَ حَتَّى يَفْرُغَ الْحِسَابُ }[١٦]

وأشد من هذا ما روي في الأثر :

{ أن رجلاً كان يخدم موسى عليه السلام، فجعل يقول: حدَّثني موسى صفي الله، حدَّثني موسى نجيّ الله، حدَّثني موسى كليم الله، حتى أثرى وكثر ماله، ففقده موسى عليه السلام، فجعل يسأل عنه ولا يحسّ له خبراً، حتى جاءه رجل ذات يوم وفي يده خنزير وفي عنقه حبل أسود فقال له موسى عليه السلام: أتعرف فلاناً؟ قال: نعم، هو هذا الخنزير، فقال موسى: يا رب أسألك أن تردَّه إلى حاله حتى أسأله بما أصابه هذا؟ .. فأوحى الله عز وجل إليه: لو دعوتني بالذي دعاني به آدم فمن دونه ما أجبتك فيه ... ، ولكن أخبرك لم صنعت هذا به؟ لأنه كان يطلب الدنيا بالدين !} ١٧

خامساً: . . . أن تكون عنايته بتحصيل العلم النافع في الآخرة،

---

١٦ أخرجه الطبراني في الأوسط بإسناد ضعيف، الترغيب والترهيب

١٧ إحياء علوم الدين، وفى تاريخ دمشق عن عثمان بن عبدالله ، وفيه "وفى يده خززاً فى عنقه حبل " والخزز الأرنب الذكر.

المرغب في الطاعات . . ، مجتنباً للعلوم التي يقل نفعها . . أو التي يكثر فيه الجدال ! والقيل والقال . . . ! ! .

وخير مثال لذلك ما روى عن حاتم الأصمّ تلميذ شقيق البلخي رضي الله عنهما ، أن شقيق البلخي قال له:

منذ كم صحبتني ؟ . . قال حاتم: منذ ثلاث وثلاثين سنة . ، قال: فما تعلمت مني في هذه المدة ؟ ، قال: ثماني مسائل . ، قال شقيق له: إنا لله وإنا إليه راجعون، ذهب عمري معك ولم تتعلم إلا ثماني مسائل !

قال: يا أستاذ لم أتعلم غيرها ، وإني لا أحب أن أكذب، فقال: هات هذه الثماني مسائل حتى أسمعها .

قال حاتم: نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد يحب محبوباً فهو مع محبوبه إلى القبر فإذا وصل القبر فارقه، فجعلت الحسنات محبوبي، فإذا دخلت القبر دخل محبوبي معي، فقال: أحسنت يا حاتم، فما الثانية ؟

فقال: نظرت في قول الله ﷻ ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ (النازعـات) فعلمت أن قوله سبحانه هو الحق، فأجهدت نفسي في دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله تعالى .

الثالثة: أني نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل من معه شئ له قيمة ومقدار رفعه وحفظه ثم نظرت إلى قول الله ﷻ ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ (٩٦ النحل) فكلما وقع معي شئ له قيمة ومقدار وجهته إلى الله ليبقى عنده محفوظاً .

الرابعة: أني نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يرجع إلى المال وإلى الحسب والشرف والنسب، فنظرت فيها فإذا هي لا شئ، ثم نظرت إلى قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ (١٣ الحجرات) فعملت في التقوى حتى أكون عند الله كريماً .

الخامسة: أني نظرت إلى هذا الخلق وهم يطعن بعضهم في بعض ويلعن بعضهم بعضاً وأصل هذا كله الحسد، ثم نظرت إلى قول الله ﷻ: ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ (٣٢ الزخرف) فتركت الحسد واجتنبت الخلق، وعلمت أن القسمة من عند الله سبحانه، فتركت عداوة الخلق عني .

السادسة: نظرت إلى هذا الخلق يبغي بعضهم على بعض، ويقاتل بعضهم بعضاً، فرجعت إلى قول الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ (٦ فاطر) فعاديته وحده واجتهدت في أخذ حذري

منه، لأن الله تعالى شهد عليه أنه عدو لي، فتركت عداوة الخلق غيره .

السابعة: نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يطلب هذه الكسرة فيذل فيها نفسه، ويدخل فيما لا يحل له، ثم نظرت إلى قوله تعالى ﷻ: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ (٦٠العنكبوت) فعلمت أني واحد من هذه الدواب التي على الله رزقها، فاشتغلت بما لله تعالى علي، وتركت ما لي عنده .

الثامنة: نظرت إلى هذا الخلق فرأيتهم كلهم متوكلين على مخلوق: هذا على ضيعته، وهذا على تجارته، وهذا على صناعته، وهذا على صحة بدنه، وكل مخلوق متوكل على مخلوق مثله، فرجعت إلى قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ (٣الطلاق) فتوكلت على الله ﷻ فهو حسبي .

عندها قال شقيق ﷺ : يا حاتم وفقك الله تعالى، فإني نظرت في علوم التوراة والإنجيل والزبور والفرقان العظيم، فوجدت جميع أنواع الخير والديانة وهي تدور على هذه الثمان مسائل، فمن استعملها فقد استعمل الكتب الأربعة (إنتهى) .

سادساً : . . . أن يحدِّث بالأحاديث الصحيحة، ويروي القصص

القرآنية والنبوية الثابتة ويحذر من ذكر الروايات الإسرائيلية في قصص الأنبياء والتي امتلأ بها الكثير من الكتب، وخاصة كتاب "قصص الأنبياء المسمى بالعرائس للثعالبي".

وعليه أن ينتقي من قصص السلف الصالح ما يقبله العقل ويوافق النقل، ويركز في سرده للقصص على ذكر العظة والعبرة منها عملاً بقوله ﷻ: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (١١١يوسف).

سابعاً: . . . . أن يتبحر في علم الشريعة، ويلم بالفتاوي التي يحتاجها العصر، على أن يأخذها من العلماء أهل الخشية الذين بلغوا رتبة الاجتهاد في التشريع، وشهد لهم علماء العصر بذلك.

ومن أبرز الكتب التي يرجع إليها في عصرنا في المسائل الفقية العصرية كتاب "فتاوي فقهية عصرية" للشيخ جاد الحق وقد طبع مجمع البحوث الإسلامية منه خمسة مجلدات، وكتاب "الفتاوي العصرية" للدكتور يوسف القرضاوي و"الفتاوي للشيخ الشعراوي"، و"الفتاوى" لفضيلة مفتى الديار المصرية الدكتور على جمعة، ومما يعين على الإحاطة بذلك أيضاً الاطلاع على الأسئلة الفقهية والشرعية والردود عليها ومن أبرز الكتب في هذا المجال كتاب "أحسن الكلام في الفتاوي والأحكام" للشيخ عطية صقر.

على أن يراعي في ذلك ألا يكون مسارعاً إلى الفتيا إذا سُئل، بل يكون متوقفاً ومتحرزاً ما وجد إلى الخلاص سبيلاً، فإن سئل عن ما يعلمه تحقيقاً بنص كتاب الله أو بنص حديث أو إجماع أو قياس جلي أفتى، وإن سئل عن ما يشك فيه قال: لا أدري، وإن سئل عما يظنه باجتهاد وتخمين احتاط ودفع عن نفسه وأحال إلى غيره إن كان في غيره غنْية. هذا هو الحزم لأن تقلد خطر الاجتهاد عظيم، وفي الخبر:

{ العلم ثلاثة: كتاب ناطق، وسنَّة قائمة، ولا أدري }[18]

قال الشعبي:... { لا أدري نصف العلم }

ثامناً: . . . أن يراعي في تفسير الآيات الكونية ربطها بالنظريات العلمية الحديثة التي ثبتت مصداقيتها علمياً وتجريبياً على ألا يلوى الآيات القرآنية أو يتعسَّف في معانيها لتحقيق ذلك.

ويطالع في سبيل ذلك كتب الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ككتب جمال الدين الفندي والدكتور منصور حسب النبي والدكتور كارم غنيم وغيره ويمكن الاقتصار على كتاب تفسير الآيات الكونية للدكتور عبد الله شحاته.

ويلاحظ عند مطالعته لكتب التفسير التراثية أن يتوقف عند تفسير

[18] أخرجه أبو داود وابن ماجة من حديث عبد الله بن عمر مرفوعاً.

السابقين للظواهر الكونية وأسبابها كالزلازل والمطر والرياح وغيرها فما وافق النظريات العصرية الثابتة قبله وتحدَّث به، وما كان غير ملائم للعصر أعرض عنها ولم يشر إليها .

وذلك لأن السابقين اجتهدوا في تفسير تلك الظواهر بحسب ما وصل إليه العلم في عصرهم فهذه طاقتهم، وعلينا أن نكمل مسيرتهم فنلغي أو نعدّل آراءهم بحسب ما وصل إليه العلم اليقيني في عصرنا .

وعلينا أيضاً أن نتحرز من الأخذ بالفروض والملاحظات قبل كمال تحقيقها لأنها تعدّ أثناء ذلك مجرد افتراضات وليست قوانيناً أو نظريات، وألا تكون رغبة الداعى الحكيم فى الحديث عن إعجاز القرآن أو السنة العلمى دافعا للخوض فيما لم يثبت يقينا بالعلم والبرهان، وأن يتعود النقل فى ذلك عن المصادر الموثوقة وأن يفهم ويعى جيدا ما يتناوله بالحديث وإلا فلا .

تاسعاً : . . . عليه أن يُضفي على العبادات والأحكام الشرعية عند ترغيب الناس في القيام بها الحكم الطبية والعلمية التي تصاحب أداءها ، لماذا ؟ . . . لأن ذلك يشدّ الناس شدّاً شديداً للقيام بها ، فيذكر مثلاً مع الصلاة الأمراض النفسية والجسدية التي يعالجها الانتظام في أداء الصلاة، وكذلك مع الصيام يوضح الحكم الطبية والنفسية والاجتماعية للصيام

وهكذا، وقد ألحنا إلى هذا المنهج في كتابنا "مائدة المسلم بين الدين والعلم" .

عاشراً : . . أن يركز في حديثه عن النبي ﷺ على شمائله ﷺ وأخلاقه وصفاته، ويستطيع تحصيل ذلك من كتاب "الشمائل المحمدية للترمذي" و"أخلاق النبي للأصفهاني" و"المواهب اللدنية للقسطلاني"، وأجمع كتاب في هذا الباب "سبيل الهدى والرشاد في هدى خير العباد" للحافظ الشامي وقد طبعه المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ولنا في ذلك أيضاً كتاب (حديث الحقائق عن قدر سيد الخلائق)، وكتاب (الرحمة المهداة) ، وكتاب (الكمالات المحمدية) ، وكتاب (إشراقات الإسراء) جزءان، وكتاب (واجب المسلمين المعاصرين نحو رسول الله ﷺ) .

حادي عشر : . . وإذا كانت الدعوة فى أوساط النساء تقوم بها إمرأة داعية حكيمة . . متفقهة وملتزمة ، فيلزمها إضافة لكل ما تقدم من منهج الدعاة الحكماء . . ألا تقصر في حق زوجها ولا بيتها ولا أولادها بحجة أنها مشغولة بتبليغ الدعوة، وأن تكون على دراية كاملة بفقه النساء، وما يخصهنَّ من الكتاب والسنة مع معرفة الحكم الشرعي المناسب لمقتضيات ما يحدث في العصر، وأن ترتكز في طريقتها في الدعوة إلى الله على التبشير لا التنفير، كما أمر البشير النذير .

أوصاف الداعي الحكيم

للداعي الحكيم أوصاف وعلامات كثيرة يُعرف بها، أشار إلى بعضها الإمام الغزالي ﷺ في إحياء علوم الدين فقال:

(وقيل خمس من الأخلاق هي من علامات علماء الآخرة مفهومة من خمس آيات من كتاب الله ﷻ "الخشية والخشوع والتواضع وحسن الخلق وإيثار الآخرة على الدنيا وهو الزهد"، فأما الخشية فمن قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ ﴾ (٢٨ فاطر)، وأما الخشوع فمن قوله تعالى: ﴿ خَـٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ ﴾ (١٩٩ آل عمران)، وأما التواضع فمن قوله ﷻ: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٨٨ الحجر)، وأما حسن الخلق فمن قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ (١٥٩ آل عمران)، وأما الزهد فمن قوله ﷻ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ﴾ (٨٠ القصص)) .

ويمكن إجمال أوصاف الداعي الحكيم فيما يلي:

أولاً: . . . التواضع لله تعالى في كل حال:

وخصوصاً عند رواية العلم أو بيانه بالكتابة أو الدراسة .

فالتواضع أكمل علامة للعلماء ، لأنها تدل على حقيقة الخشية من الله تعالى، وقد حصر الله تعالى خشيته في العلماء ، لأن شأن العالم العارف لنفسه بنفسه الممتلئ من معرفة ربه، المتحلي بواردات قدسه ألا يرى لنفسه حالاً ولا مقالاً، بل يرى نفسه أقل من كل شئ، وهذا هو النظر التام، كما قيل:

إذا زاد علم المرء زاد تواضعاً ... وإذا زاد جهل المرء زاد ترفعاً

وفي الغصن من حمل الثمار مثاله ... فإن يعرُ عن حمل الثمار تمنّعاً

ثانياً: . . . الحلم والأناة:

لأنهما خصلتان يحبهما الله تعالى، وإذا تجرد منهما العالم هلك، لأنه يتصف بالحماقة والعجلة، فالعجلة توقعه في الخطأ ، والحماقة تنفر منه الخلق والحق، فيكون ضاراً وقد يُبْتلى إذا لم يتصف بالحلم والأناة بالإعجاب برأيه، والتعصب له، فيجادل من خالفه، ويؤيد رأيه بالحجج ولو كان باطلاً .

ثالثاً: من أكمل صفات العلماء أن يعلّموا كل فريق من الناس ما لابد لهم منه، ويخفوا الحكمة إلا عن أهلها ،كما قيل:

{لا تمنعوا الحكمة أهلها فتظلموهم، ولا تعلموها غير أهلها فتظلموها }

ومن علّم الحكمة غير أهلها من العلماء فتح على نفسه باباً من الشر، وعلى المسلمين باباً من الفتنة. فالعالم الرباني يُعلِم الناس على قدر عقولهم ويداريهم كما قال رسول الله ﷺ:

{ كلّموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون!، أتريدون أن يكذّب الله ورسوله؟ }١٩.

رابعاً: . . . السكينة والرحمة:

فإن السكينة دليل على التمكين، وبرهان على الرسوخ في العلم والرحمة من أخص صفات العلماء بحكم الوراثة عن رسول الله ﷺ، وأجمل صفاته صلوات الله وسلامه عليه ما أثبتها الله تعالى له بقوله: ﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١٢٨ التوبة).

وقدَّم الله عز شأنه الرحمة في الإيتاء على العلم للعالم الرباني فقال تبارك وتعالى: ﴿ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ (٦٥ الكهف).

خامساً: . . . من أجلّ علامة العلماء الربانيين:

---

١٩ رواه البخاري موقوفاً على علي ورفعه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من طريق أبي النعيم.

العمل بالعلم في السر والجهر؛ خشية من الله تعالى، والأخذ بالعزائم، ولو كان في ذلك ما تكرهه نفوسهم، أو تتألم منه أبدانهم إرضاء لله تعالى ولا يأخذون بالرخص من غير أسبابها، وذلك لكمال اقتدائهم برسول الله ﷺ فقد كان فيما يروى عنه صلوات الله وسلامه عليه يأخذ نفسه بالأشد ويأمر غيره بالأيسر ولذلك كان كُمَّل أصحابه رضوان الله عليهم يقتدون بفعاله قبل أقواله، لأن الإقتداء بأفعاله عزيمة.

سادساً: . . . التحفظ من أن يرى رأياً فيحكم به من غير أن يتثبت من أنه حكم الله تعالى، وحكم رسوله ﷺ، أو أنه مأخوذ بالاستنباط من الكتاب والسنة، أو من عمل أئمة السلف، أو له نظير أو شبيه من أعمال السلف رضوان الله عليهم.

سابعاً: . . . الاجتهاد في سدّ باب الذرائع والفتن، وإراحة أفكار المسلمين من الاشتغال بما يضر ولا ينفع، الأمر الذي سبَّب فرقة المسلمين، ووقوع العداوة والشحناء بينهم، وجعل غير المسلمين يظنون أن الدين الإسلامي مؤسس على تعصب لأشياء لا حقائق لها . .

ومثال ذلك فتح باب التفاضل بين الصحابة والعلماء، أو في الآراء والمذاهب والاعتقادات، وكذلك فتح باب الفتن بالتكلم فيما سكت الله

عنه، وسكت عنه رسول الله ﷺ رحمة بالمسلمين، فلم يحرّمها، فيقوم هؤلاء الذين تحصّلوا على قشور من أحكام الشريعة المطهرة، وينصبّوا بكليتهم على فتح أبواب الشُّبَه، وشغل المسلمين بما يضر ولا ينفع . . ! ! ناهيك عن الفظاظة في الأخلاق !، والغلظة في الطباع !، والسخف في القول عند الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر . . ! !، متذرعين بحجة أن هذا من الدين، وأن هذه نصيحة، وأن هذه الطريقة الشرعية التي أمر الله بها . . ويجهلون أنهم بذلك وقعوا في كبائر لا تحصى منها : . . . . مخالفة رسول الله ﷺ في أخلاقه، ومخالفة سنته في الدعوة . . . ، وتنفير عباد الله . . . ، ووقوعهم في بغض الدين وبغض أهله . . . ، وظنوا أنهم أحسنوا ! ! وربما كان الذي يدعون إليه من الأمور المرغّب فيها خلاف الأولى . . ، أو كان الذي ينهون عنه أيضاً خلاف الأولى . . وذلك في مثل الاجتماع على ذكر الله، أو قراءة سورة الكهف في المساجد يوم الجمعة، وما شابه ذلك .

ثامناً : . . . أن يكون أكثر بحثه عن علم الأعمال، وعما يفسدها ويشوش القلب، ويهيج الوسواس، ويثير الشر، فإن أصل الدين التوقي من الشر ولذلك قيل:

عرفت الشَّرَّ لا للشَّرِّ لكن لتوقيـــه
ومن لا يعرف الشَّرَّ من النَّاس تقع فيه

ولأن الأعمال الفعلية قريبة، وأعلاها المواظبة على ذكر الله تعالى بالقلب واللسان، وإنما الشأن في معرفة ما يفسدها ويشوشها، وهذا مما تكثر شعبه ويطول تفريعه، وكل ذلك مما يغلب مسيس الحاجة إليه، وتعم به البلوى في سلوك طريق الآخرة،

ولقد كان الحسن البصري رحمه الله أشبه الناس كلاماً بكلام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأقربهم هدياً من الصحابة رضي الله عنهم، وكان أكثر كلامه في خواطر القلب، وفساد الأعمال ووساوس النفس، والصفات الخفية الغامضة من شهوات النفس.

{ وقد قيل له: يا أبا سعيد إنك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك فمن أين أخذته؟ .. قال: من حذيفة بن اليمان }.

وقيل لحذيفة: نراك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك من الصحابة فمن أين أخذته؟ قال: خصَّني به رسول الله ﷺ: كان الناس يسألونه عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه، وعلمت أن الخير لا يسبقني علمه}.

وقال مرة: فعلمت أن من لا يعرف الشَّر لا يعرف الخير ، وفي لفظ آخر: { كان يقولون يا رسول الله ما لمن عمل كذا وكذا؟ يسألونه

عن فضائل الأعمال، وكنت أقول يا رسول الله ما يُفسد كذا وكذا؟ فلما رآني أسأله عن آفات الأعمال خصَّني بهذا العلم } ٢٠.

وكان حذيفة ﷺ أيضاً قد خُص بعلم المنافقين، وأفرد بمعرفة علم النفاق وأسبابه، ودقائق الفتن، فكان عمر وعثمان وأكابر الصحابة ﷺ يسألونه عن الفتن العامة والخاصة. وكان عمر ﷺ إذا دعي إلى جنازة ليصلي عليها نظر فإن حضر حذيفة صلى وإلا ترك. وكان يسمى صاحب السر.

فالعناية بمقامات القلب وأحواله دأب علماء الآخرة، لأن القلب هو الساعي إلى قرب الله تعالى، فيهتمون بمعرفة صفات القلب وتطهيره عن الأخلاق المذمومة.

تاسعاً: . . أن يكون اعتماده في علومه بعد تحصيل ما يلزم كما أشرنا آنفاً على حكمته وبصيرته وإدراكه بصفاء قلبه، لا على الصحف والكتب، ولا على تقليد ما يسمعه من غيره. . وكان سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ يقول لأتباعه مادحاً أهل علوم الإلهام رضى الله عنهم أجمعين:

{ حدثونا بما فتح الله عليكم، لا بما نقلتموه عن غيركم }

فإذا قلَّد صاحب الشرع صلوات الله وسلامه عليه فيما أمر به

---

٢٠ أخرجه البخاري ومسلم

وقاله، فينبغي أن يكون حريصاً على فهم أسراره، فإن رسول الله ﷺ ما فعله إلا لسرّ فيه، ولا يكون عالماً إلا إذا كان شديد البحث عن أسرار الأعمال والأقوال، فإن اكتفى بحفظ ما يُقال كان وعاءاً للعلم، ولا يكون عالماً .

عاشراً: . . . **أن يكون شديد التوقي من محدثات الأمور !**، وإن اتفق عليها الجمهور، فلا يغرنه إطباق الخلق على ما أحدث بعض الصحابة ، وليكن حريصاً على التفتيش عن أحوال الصحابة وسيرتهم وأعمالهم، وما كان فيه أكثر همهم، فقد كان ذلك في الخوف والحزن والتفكر والمجاهدة، ومراقبة الظاهر والباطن، واجتناب دقيق الإثم وجليله، والحرص على إدراك خفايا شهوات النفس ومكايد الشيطان إلى غير ذلك من علوم الباطن .

واعلم تحقيقاً أن أعلم أهل الزمان وأقربهم إلى الحق أشبههم بالصحابة وأعرفهم بطريق السلف، فمنهم أُخذ الدين، ولذلك قال الإمام علي لمَّا قيل له: خالفت فلاناً !، قال: { خيرنا أتبعنا لهذا الدين } .

وما أجمل حديث التستري عن العلماء العاملين والأولياء المحققين ومكانتهم حيث يقول : { **قال الله لآدم: يا آدم إني أنا الله لا إله إلا أنا، فمن رجا غير فضلي، وخاف غير عدلي لم يعرفني، يا آدم إن لي صفوة وضنائن وخيرة من عبادي أسكنتهم صلبك، بعيني من بين خلقي،**

أعزهم بعزي، وأقربهم من وصلي، وأمنحهم كرامتي، وأبيح لهم فضلي، وأجعل قلوبهم خزائن كتبي، وأسترهم برحمتي، وأجعلهم أماناً بين ظهراني عبادي، فبهم أمطر السماء، وبهم أنبت الأرض، وبهم أصرف البلاء. هم أوليائي وأحبائي، درجاتهم عالية، ومقاماتهم رفيعة، وهممهم بي متعلقة، صحّت عزائمهم، ودامت في ملكوت غيبي فكرتهم، فارتهنت قلوبهم بذكري، فسقيتهم بكأس الأنس صرف محبتي، فطال شوقهم إلى لقائي، وإني إليهم أشد شوقاً، يا آدم من طلبني من خلقي وجدني، ومن طلب غيري لم يجدني، فطوبى يا آدم لهم ثم طوبى، ثم طوبى لهم وحسن مآب. يا آدم هم الذين إذا نظرت إليهم هان عليَّ غفران ذنوب المذنبين لكرامتهم عليَّ } (حلية الأولياء، عن سهل بن عبدالله)

وقال أيضاً: إن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام:

{ يا داود إذا رأيت لي طالباً فكن له خادماً، فكان داود يقول في مزاميره: وَاهًا لهم! يا ليتني عاينتهم!!، يا ليت خدّي موطأ نعلهم! }.

قال سهل بن عبد الله ذلك، ثم اصفرَّ لونه وجعل يقول: . .

{ جعل الله نبيه وخليفته خادماً لمن طلبه لو عقلت – وما أظنَّك تعقل – قدر أولياء الله وطلابه، ولو عرفت قدرهم لاستغنمت

قربهم ومجالستهم، وبرَّهم وخدمتهم وتعاهدهم } [21]

وصية [22]

أخي الداعي يا من وهبه الله تعالى: العلم والحكمة، وجمال الأخلاق وأعانه على صرف الأوقات في عمل القربات والطاعات .

أخي: أعلم - حفظني الله وإياك من حب الدنيا والرغبة فيما فيها - أن تلك الإقامة التي أنت مقيم فيها : هي وظيفة العلماء الربانيين، والأمناء الروحانيين ورثة رسل الله - عليهم الصلاة والسلام - وأبدال الصديقين والشهداء .

فمن أقامه الله تعالى مقام رسله:

جعل له علامات، هي الحجج المؤيدة لصدق إقامته، والبراهين التي في قوة تصديق الله أنه سبحانه قد منَّ عليه بميراث الرسل عليهم الصلاة والسلام وتلك العلامات هي:

---

۲۱ حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني ج ۱۰ ص ۱۹۳، ۱۹٤.
۲۲ هذه الوصية نقلناها بتصرف من كتاب مذكرة المرشدين والمسترشدين للإمام أبي العزائم رضي الله عنه لشمولها وأهميتها.

الحرص على عباد الله من أن يقع أحدهم فيما يُغضب الله بسببهم .

والرأفة والرحمة بالمؤمنين، ولين الجانب، والخلق العظيم، والصبر على جفوة مَنْ يَدْعونهم، ودعوة الخلق كل على قدر عقله .

ومداراة الناس، والغضب في الله، والإحسان إلى المسيء، وصلة القاطع وتأليف النافر .

وترك الجدل مرة واحدة إلا ما كان لبيان حكم من الأحكام الشرعية مختلف فيه ويكون بالتي هي أحسن .

والتباعد بالكلية عن تنفير الخلق، أو عن نية السوء، أو قصد الشر، أو العزم عليه، أو التكلم بما لا يليق من قبيح الكلام في غيبة الناس أو في مواجهتهم، والتباعد عن سماع الشر في حق الناس، والزهد فيما في أيديهم، وبذل ما في اليد لهم تألفاً لهم، والمسارعة إلى فعل الواجبات والفضائل والمكرمات، ومنافستهم في ذلك حتى يقلدوا الداعي .

والشفقة عليهم، والاجتهاد في دفع المصائب عنهم، وتخفيف آلامهم، ومشاركتهم في مهماتهم؛ مشاركة عملية بالمال والنفس، وذكر محاسنهم، وستر عيوبهم في غيبتهم .

والاجتهاد في تنبيههم لترك المعاصي التي يقع فيها بعضهم، وعمل

الفضائل التي تركها بعضهم بطريق محفوظ من أن يتوهم أحدهم أنه مقصود بالذات خشية من التنفير، بل يكون بتنبيه عام يبين فيه قبح المعصية وسوء عاقبتها، ويبين حسن الفضيلة وجميل مآلها .

فهذه الأخلاق هي التي يجب أن يكون عليها المتصف بصفات الداعي إلى الله، أو النائب عنه لأنها من أخص صفات رسول الله ﷺ ، والخادم إذا ناب عن سيده يلزمه أن لا يخالفه، فإن خالفه هلك أو أهلك .

فمن أقامه الله بدلاً عن الصديقين والشهداء، ونائباً عن العلماء الربانيين، ثم غلبته نفسه فغضب أو شتم آخر أو سبَّه، أو كرهه بقلبه، أو ظن في أخيه سوءاً !، أو قطع أخاً له لغرض من أغراض الدنيا !، أو لعلة من علل الحظوظ !، أو تهاون بواجب !، أو ترك المنافسة في عمل الخيرات !، ونافس في عمل الشرور . .

من كان هكذا . . . :

فكأنه يريد أن لا يقبل فضل الله ونعمته، لأن هذا الفضل العظيم يمنح بالفضل من الله تعالى، ويدوم ذلك الفضل بمراعاة تلك المعاني، ونعوذ بالله من حال عبد يتفضل الله عليه فيأبى فضل الله، وينعم الله عليه فيرد نعمة الله .

أيها العالم الرباني: . . . بم صرت عالماً ؟

قال معي: ﴿ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي ﴾ (٤٠ النمل) . نعم !

فعليك أن تشكر ربك جل جلاله: بمجاهدة نفسك، حتى تتصف بصفات أهل الفضل، أحذر أن تمنح الفضل بالفضل، وتنسى المتفضل وفضله، فيسلب - والعياذ بالله - الفضل بالعدل، واستعذ بالله - أيها الداعي - من السلب بعد العطاء .

تودد إلى الأباعد ، وأحسن إلى الأقارب، وغض بصرك عن عيوب إخوانك المؤمنين، واستر زللهم، واعف عن مسيئهم، واصفح عن ظالمهم، واشكر الله الذي جعلك من أهل الفضل علماً وخُلقاً وحالاً وعملاً .

وتحقق أن أجمل نعمة ينعم الله بها على عبده، ويدوم بها الفضل العظيم، ويبقى في ذريته بعده:

هي أن ينعم الله عليك بجميل الأخلاق، وأن يملكك نفسك فلا تخرج بك عن طاعة الله، ولا توقعك في معاصي الله . .

وبذلك يحبك الله . . . ، وتحبك ملائكة الله . . . ورسل الله، ويحبك الناس أجمعون . . . - إلا من كرهك لأنك على الحق ! ! وهو على الباطل . . في الاعتقاد . . والرأي . . والعمل . .

فلا يكرهك أحد من الخلق لحماقة لأنك حليم، ولا يكرهك لعمل

سوء لأنك رحيم، ولا يكرهك لجفاء وقوة لأنك رءوف، ولا يكرهك لبخل لأنك كريم، ولا يكرهك لنفور منك لأنك صفوح عفو، ولا يكرهك لطمع منك لما في أيديهم لأن الله أغناك عن شرار خلقه، وجعل غناك في قلبك، ولا يكرهك لترك واجب لمسارعتك لعمل الواجب والمندوب، ولا يكرهك لسوء أدب لخشيتك من الله .

وتحقق أن بغض الناس – خصوصاً الأقارب، وبالأخص الوالدين والأولاد – دليل على أنك من أهل الكبائر القلبية أو البدنية ! ! . .

فبادر بسرعة وتب إلى الله، وجاهد نفسك متخلقاً بأخلاق العلماء الربانيين، والعارفين الروحانيين، ليدوم لك الفضل العظيم في الدنيا، وفي البرزخ، وفي الآخرة، وتدبر قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (١١ الرعد) .

أسأل الله تعالى الحفظ والسلامة، والنعم والإحسان، والفضل العظيم، والمعونة على الشكر إنه مجيب الدعاء .

وصلى الله على سيدنا محمد

وعلى آله وصحبه وسلم

الفصل الثاني

دعوة الرجل لأهله وذويه [٢٣]

أول من آمن بالنبى ﷺ زوجته السيدة خديجة، ومن الصبيان الإمام علىّ الذى كان يعيش فى كنفه، ومن الخدم زيد الذى كان يعيش فى كنفه أيضاً، وبلغ به الإقتناع بالدعوة أن جاء أهله أبوه وأخوته ليحرروه من العبودية ولكنه رفض أن يذهب معهم متأثراً بعيشة الحبيب وأخلاق الحبيب وكان ذلك قبل الدعوة المحمدية، فأول من يؤمن بالرجل أهله وذويه، لماذا ؟ . . ليعينوه على طاعة الله وعلى أداء رسالة الله .

كثير من الدعاة فى بداية الدعوة، يأخذون أسلوب الشدة، والشدة تكون أشد على من حوله كزوجته وأولاده فينفروا من الدعوة ! !، وهو يرى أن هذا منفعة وهو ليس كذلك ! !

لأنهم حتى لو هادنوه وجاملوه، فإنهم فى الحقيقة غير مقتنعين، وهذه مصيبة نراها فى كثير ممن يدّعون الدعوة إلى الله ﷻ .

[٢٣] المعادى، بعد صلاة الجمعة ١٤ ذى الحجة ١٤٢٩ هـ، ١٢ ديسمبر ٢٠٠٨ م

لكن رسول الله ﷺ على سنة أبيه إبراهيم . .

إبراهيم عليه السلام أسس حياة عائلته على تقوى الله وعلى طاعة الله، حتى أن زوجته التى كانت ابنة عمه وكانت محببة لديه؛ لما وجدت أنها لا تنجب، وأنه يشتاق إلى الولد ، هى التى حببت إليه الزواج من جاريتها .

البعض يأخذ الرواية اليهودية أنها غارت منها وأمرته أن يذهب بها إلى مكة، من التى تأمر إبراهيم؟

إبراهيم لا يأتمر إلا بأمر الله، والحديث واضح وفيه روايات كثيرة صحيحة ونحن لا نرويها هنا بالنص ولكن نروى القصة مجمعة للبيان، فعندما ذهب بزوجته وابنها ووضعهما هناك، قالت له: يا إبراهيم لمن تتركنا هاهنا ؟ فلم يجبها !، قالت: ألله أمرك بهذا ؟ قال: نعم، قالت: إذاً لا يضيعنا —وانظر إلى التربية الإيمانية، فهى قد عرفت أنه أمر من الله لأن كلامهم ليس فيه تدليس ولا خداع ولا نفاق ولكن كلامهم صدق عن صدق — ولما نفد الماء والزاد وجاء الملك، ونبعت عين زمزم قال: يا أَمة الله لا تخشى الضيعة فإن لله بيتاً فى هذا الموضع سيبنيه هذا الغلام وأبوه، فعرفت هنا الحكمة من مجيئها وليس غِيرةً كما يدّعى اليهود، أما الإبن فعندما قال له أبوه: ﴿ إِنِّيَ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيَ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ

﴿ يَـٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ (١٠٢الصافات) بل هو الذى أشار عليه بكيفية تنفيذ الذبح، حتى أن أباه امتدحه وقال له: نِعم العون أنت لأبيك لتنفيذ أمر الله يا بنى .

الدعوة بالرفق واللين

هذه هى التى نريدها ! !

نريد أن يكون الإبن نِعم العون لأبيه على تبليغ دعوة الله، والإبنة نِعم العون لأبيها على تبليغ دعوة الله، والزوجة تكون نِعم الزوجة المعينة لزوجها على تبليغ دعوة الله، كيف ؟، دعوة الله أساسها الرفق، قال ﷺ:

{ ما دخل الرفق فى شئ إلا زانه وما نزع من شيء لا شانه } [٢٤]، وفى رواية : { وما دخل الخرق فى شئ إلا شانه } ..

﴿ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ ﴾ (١٥٩آل عمران)، فبم كانت دعوته ؟ بالرحمة :

﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ ﴾ (١٥٩آل عمران) .

---

[٢٤] عن عائشة رضى الله عنها ، معجم الطبرانى الأوسط.

إذاً الداعى يحتاج قبل العلم إلى الرحمة بمن حوله أولاً . .

لابد أن يرحمهم حتى يحبوه ويقبلوا عليه ويطيعوه عن اقتناع وعن برهان، لكن إذا كان الداعى فى الخارج فصيح اللسان وينطق بكلام يعجب الحضور، ولكن تشتكى زوجته من معاملته، هل سيثقون فى كلامها أم كلامه؟ بالطبع كلامها هى لأنها تعيش معه .

إذاً لابد أن ناخذ الأسوة الحسنة من رسول الله ﷺ ،ومن أبى الأنبياء بأن نبدأ الدعوة بالرفق واللين والرحمة للزوجة وللأبناء ليعاونونا على تبليغ رسالة الله، وعلى العمل الموصل إلى مراد الله ﷻ .

وذلك حتى كما كان يقول لنا شيخنا الشيخ محمد على سلامة ﷺ:

{لو جاء ضيف تخدمه بمحبة.. فيكون لها نصيب فى الأجر والثواب، لكن لو خدمته خوفاً منك! أو لإرضائك! وفقط حرمتها أنت من جزيل ثواب العمل لله!}

أنا أريدها عندما تعمل العمل تكون مقتنعة حتى تأخذ الأجر والثواب، كيف؟ بالمحبة . . والرفق . . واللين . . ، ومنهج الرفق واللين . . يجعل الداعى إلى الله مثل حبيب الله ومصطفاه .

موطن العزيمة الصحيح

بعض الإخوان حتى يجاهد نفسه يأخذ نفسه بالشدة فى جهادها بالزهد والتقشف فيشدد على أهل بيته، وما دخلهم فى ذلك؟ أنت شدّد على نفسك! ولكن لا تشدد على هؤلاء، قال ﷺ وافقهوا الحديث وعوه:

{ المؤمن يأكل بشهوة عياله و المنافق بشهوة نفسه } [٢٥]

فيأكل ما يريده أولاده!!، فإذا أمسكت عن ولدك فإنه سيكرهك ولن يقبل منك قليلاً ولا كثيراً، فلا تسيّره على مسيرتك . .

إذا أردت أن تصلى القيام عليك أن تحببه فى صلاة القيام . . بأن تذكر له فوائدها ومنافعها، هل يقبل الله ﷻ منهم صلاة القيام إذا قاموا لها وهم مكرهين ليرضوك؟! ﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٩٩ يونس) ولكن أنا أصلى القيام وكل واحد كما يريد .

حضرة النبى ﷺ كان يصلى القيام وزوجاته كان يترك لهن مطلق الحرية، هل كان يجبر إحداهن على صلاة القيام؟ لا لأنها نفل . . بل أنه ورد

---

٢٥ الديلمي في مسنده عن أبي أمامة به مرفوعا، اسم الكتاب: المقاصد الحسنة للسخاوي، وورد فى أسنى المطالب فى أحاديث مختلفة المراتب لمحمد بن أدريس الحوت.

أن عائشة لما صلت القيام وراءه ليلة خفف الصلاة وأمرها أن تصلى طاقتها لا أكثر.[٢٦] .إذا أردت أن تصوم هل تجبرهم على صيام النوافل؟ . . لا ! ! ولكن حببهم، والذى يصوم له أجره وثوابه والذى يفطر لا تحاربه ولا تعترض عليه ولا تعنفه ولا تؤذيه، هل هذه فريضة؟ لا إنها نافلة وكل الذى علىَّ أن أحبب فيها فقط .ز، لكن هل أسوق الناس عليها؟ . . لا ! ! ولكن أسوق الناس على الفرائض، فأوقظه ليصلى الفجر وأوبخه إذا ترك صلاة الفجر حتى مطلع الشمس لأنها فريضة.

أنا قوى وحكمت على نفسى أن أفطر على ماء، ثم أصلى المغرب فى المسجد، وربما أتقابل مع هذا أو ذاك وأتحدث معه وأقول لهم لا تأكلوا حتى أحضر، أيجوز ذلك؟ ! . . لا لكن الواجب فى ذلك العمل أن نرحم ضعفهم وطاقتهم وأن نعلم أن فى ذلك الخير الكثير من الله لقوله ﷺ:

{ ابْغُونِي فِي ضُعَفَائِكُمْ ، فَإِنَّمَا تُرْزَقُونَ وَتُنْصَرُونَ بِضُعَفَائِكُمْ }[٢٧]

فإذا كانوا هم ضعفاء لا يستطيعون أن يصلوا المغرب أولاً، علىَّ أن أفطر معهم، وأشجعهم، وأُعلمهم آداب الفطور، وآداب الطعام، ثم أصلى

---

٢٦ وعن عائشةَ قالت:{ رأيتُ رسولَ الله ﷺ يُصَلِّي ذاتَ لَيْلَةٍ فَقُمْتُ خلفَهُ، فصلَّيْتُ بصلاته، فلمَّا جَلَسَ خَفَّفَ في قِيامِهِ، وصلَّى ركعتينِ خَفيفَتَيْنِ، ثمَّ سلَّمَ، ثمَّ قامَ فصَلَّي ركعتينِ، ثمَّ سلَّمَ، فيُسمِعُني السَّلامَ، ثمَّ التَفتَ إليَّ فقالَ: «إكْلَفي مِنَ العَمَلِ ما تُطيقِينَ» يَقولُها ثلاثاً}، مجمع الزوائد

٢٧ عن أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ رواه أبو داود والترمذي والنسائي

المغرب، وليَ فسحة وليَ مندوحة في سُنة المصطفى لأنه فعل هذا وذاك .

فآفة الدعاة . . والتي تجعل الأهل ينفرون منهم . . أنه يريد أن يشدد عليهم مع تشديده على نفسه، ولم يكن هكذا ﷺ، ولكن كان هديه أنه يأخذ نفسه بالعزائم، ولكن يأمر غيره بالرُخص . . . وهكذا جمع القلوب ! !

فيا حبذا لو حرص الإنسان على رحمة أهله وذويه عندما يرى مشقتهم . . فإنهم سيسعدوا بك . . . مثلاً إذا كان ابنك اعتاد على صيام يومى الإثنين والخميس، وحضر الإمتحان، فأمرته أن يفطر . . فإنه سيفرح بك لأنك تيسر له، إنها نافلة والنافلة له فيها الخيار، يقول فيها ﷺ: { الصَّائِمُ المتطوّعُ أَمِيرُ نَفْسِهِ إِنْ شَاءَ صَامَ ، وَإِنْ شَاءَ أَفْطَرَ } ٢٨ .. إنها ليست فريضة . . ، إذا صمت ثم جاء سفرٌ عارضٌ فجأة . . وهذا السفر طويل ! ليس عليَّ شيء إذا أفطرت .

وسطية الدعوة

فإذا أراد أن يشدد فليكن على نفسه ! لا على أهله، وحتى على نفسه فقط، فليسمع قول الحبيب ﷺ والذى دائماً مصيب وما ينطق عن

[٢٨] أخرجه الإمام أحمد وأصحاب السنن غير ابن ماجه والحاكم عن أم هانئ رضي الله عنها

الهوى: { روِّحُوا القُلُوبَ سَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ فَـإِنَّ القُلُـوبَ إِذَا كَلَّـتْ عَمِيَتْ} [٢٩] فلو شددت على نفسك باستمرار فإن نفسك ستبعدك عن طريق الله ﷻ لأنك ستأخذ طريق التشدد، وطريق التشدد ليس بالمنهج الذي ارتضاه الله ورسوله، ارتضى لنا الله ورسوله المنهج الذي قال فيه ﷻ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (١٤٣البقرة) .

فالوسطية في كل أمر محمودة، والتشدد في كل أمر مذموم، والتساهل في كل أمر مذموم، فنحن نحتاج إلى الوسطية في كل أحوالنا .

كان ﷺ لا يحب اللهو لكنه كان يسمح لزوجاته باللهو، روت السيدة عائشة ﵂ قالت: { دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ تُغَنِّيَـانِ بِغِنَـاءِ بُعَاثٍ، فَاضْطَجَعَ عَلَى الْفِرَاشِ وَحَوَّلَ وَجْهَهُ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَانْتَهَرَنِي. وَقَالَ: مِزْمَارُ الشَّيْطَانِ عِنْدَ رَسُولُ اللَّهِ ؟ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ . فَقَالَ: «دَعْهُمَا» فَلَمَّا غَفَلَ غَمَزْتُهُمَا فَخَرَجَتَا. وَكَانَ يَوْمَ عِيدٍ } [٣٠]، وفي مرة سأل عائشة إن كانت تحب تشاهد الحبشة يلعبون بالحراب والعصي في المسجد، فأحبت ذلك ووقفت تتفرج من ورائه مستندة على كتفه وخدها على خده وهم يلعبون، وقال ﷺ لهم ولنا :

---

[٢٩] العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي
[٣٠] صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها

{لِتَعْلَمَ يهودُ أن في دِينِنا فُسْحَةً، إنّي أُرْسِلْتُ بِحَنِيفَيةٍ سَمْحَةٍ }[31]

ويبقى ﷺ ولا يتحرك حتى تقول له: كفاك يـا رسـول الله، يقول: زيدى يا عائشة، تقول: كفى يا رسول الله، وهكذا كانت الحضرة المحمدية . . ليس كما يفعل البعض بأن يحبس زوجته فى البيت، لماذا ؟ لأن الله قال: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ (٣٣الأحزاب) فلا يُخرج زوجته من البيت . . .أهذا يصح ! ! ؟ ؟

يجب عليه أن يُرَوح عنها بتبادل الزيارات، أو زيارة الصالحين الأحياء أو المنتقلين أو زيارة بعض الأماكن التى تُرَوح عنها مثل شاطئ بحر أو منتزه وتجلسا جلسة شرعية عائلية تشاهد وجه الله فى الزرع، قال ﷺ: { ثلاثة يجلين البصر الماء والخضرة والوجه الحسن }[32]

وهذا الحديث بالطبع له معان ذوقية غير المعانى الظاهرة ومنها ، فالماء هو ماء التوحيد ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾ (٣٠ الأنبياء)،عندما يشهد توحيد الله أو سر الله السارى فى الكائنات يذهب عنه الحزن كما ورد فى روايات أخرى، والخضرة خضرة الجنة، والوجه الحسن وجه رسول الله ﷺ . . .

---

[31] مسند الإمام أحمد، عن عائشة رضي الله عنها

[32] عن أبي سعيد الخدرى، إختلاف الحديث للشافعي.

هذه حقيقة معناه ولكن مغزاه الظاهر واضح، كلنا عندما نذهب إلى مكان فيه خضرة وزرع يذهب عنا الهم ويفرج عنا الهم.

فلابد للإنسان أن يمشى على الحياة الوسطية التى كان عليها النبى العدنان ﷺ، وكان ولا زال عليها الصالحون فى كل وقت وآن، أنت رجل زاهد فتح الله عليك باباً من أبواب الزهد ولا تريد أن تأكل شيئاً أبداً، هل الذين معك يتحملون ذلك؟! إذا كان فتحك فى هذا الباب يجب أن تتركهم يأكلوا، قال الإمام علىّ ﷺ: { لا تحملوا أولادكم على أخلاقكم فإن لهم زمانٌ غير زمانكم } . . .

أنت زاهد وتريد أن تركب المواصلات! وترى أن ركوب السيارة من الكماليات!، ولا داعى لها! ولكن معك المال. . ، يجب عليك أن تأتى لهم بسيارة تحفظهم فيها من مشاكل المواصلات العامة التى يعيش فيها الناس فى كل وقت وحين، فلم تصبح السيارة كمالية لمن يملك اقتناءها بيسر، بل هى ضرورية، فلا تحكم عليهم أن يعيشوا مثلك!!.

أنت ترى أن من كمال الزهد أن يكون عندك بدلة واحدة للشتاء! وبدلة واحدة للصيف! لكن ما لإبنك ولهذا الزهد!، إنه شباب!! ويريد أن ينوع . . ويعلم أنك يمكنك أن تشترى!! هذا فى الحقيقة ليس زهد

العارفين . . ولكنه زهد الزاهدين ! ! لأن العارفين زهدهم يقولون فيه: { لو ملكك الله الدنيا من أولها إلى آخرها وزهدت فيها، فى أى شئ زهدت؟ فيما لا يساوى جناح بعوضة }، كل متاع الدنيا من أوله إلى آخره ماذا قال فيه الجليل: ﴿ قُلْ مَتَـٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾ (٧٧ النساء)، إذاً أنت زهدت فى قليل ! !، ولكن ما حقيقة الزهد ؟ . . . أن يزهد قلبك فيما سوى الله، فلا تحضر فيه إلا أنوار مولاك ولا يخطر فيه إلا خاطرة تأتيك من الله أو من حبيب الله ومصطفاه، هذه هى حقيقة الزهد، لكن الزهد فى الفانى ! ، ماذا يعنى الزهد فى التفاح مثلاً؟ التفاح مثله مثل الخبز، عندما يدخل البطن هل هناك فرق بينه وبين غيره؟ لكن كل الموضوع هو النظرة التى وراءها تعلق القلب إذا كان متعلقاً بهذا أو متعلقاً بذاك، علق بقلبك مولاك:

ولا تعلّق بالقلب غير إله قد تجلى فى العالمين علاه

فكُلْ ما شئت ! والبس ما شئت ! وافترش ما شئت ! ما دام من حلال، تشكر الله عليه ، وتؤدى حقه فيه . . .

الذين يُحَرّمون على أنفسهم الطيبات هم الزهاد . . ! ! وهؤلاء ليسوا من العارفين . . فإنه يزهد فى الدنيا من أجل الآخرة ! !، لكن العارفين يزهدون فى الدنيا والآخرة ! ! لأنهم يريدون خالق الدنيا والآخرة،

لا يريدون إلا وجهه ! ! ، فالدنيا كون ! والآخرة كون ! فهل أزهد فى كون من أجل كون ؟ ! ما الفائدة ؟ ! لكنى أزهد فى الكونين رغبة فى مكون الأكوان ﷻ فهذه هى حقيقة الزهد .

هذه الأشياء تنتاب كثير من الذين يتعرضون لدعوة الله ﷻ، ولذلك نجد كثير من المشاكل بينهم وبين ذويهم وأهليهم، وتجدهم لا يحبون وجوده بينهم لأنه كاتم لأنفاسهم وسجَّان عليهم، ومعه نعم الله ولا يريد أن يمتعهم بها ، ويرضى بالدون فى الدنيا ! والمؤمن لا يرضى بالدون فى الدنيا و يطلب الأعزَّ فى الآخرة، فالمؤمن لا يرضى إلا بأعز الأشياء فى الكون وفى الجنة وعند الله ﷻ لقول الحبيب ﷺ: { إنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّباً } ٣٣

ففى أمر السيارة مثلاً . . إذا اقتنع بشرائها ومعه مال وفير ليشترى سيارة جديدة، تجده يبحث عن سيارة مستهلكة ! !ويَعتَبر هذا إسرافاً وإتلاف ! ، ما دام أعطاك الله ! لماذا تحرم نفسك المتع الحلال التى أباحها لك الله ! . . كل الموضوع أن تجعل فى كل عمل تعمله نصيباً لله بأن توجد نية طيبة قبل شرائها لاستخدامها لله ﷻ واشتر كما تريد . . لكن أنت الحاكم ! عليك أنك تشترى لنفسك لأن الزاهد مهتم بنفسه، لكن العارف مشغول

٣٣ صحيح مسلم ، عن أبي هريرة

بربه . . وكل الذى يعمله ويجهزه إنما لربه: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾ (٣٢ الأعراف).

فإذا جهز بيته فلضيوف الله، وإذا جهز طعاماً فلضيوف الله، سيدنا إبراهيم لما جاءه ضيفان ذبح لهما عجل سمين، هل أسرف؟ ! هل عاتبه الله على ذلك؟ أبداً، ورد فى الأثر { لا سَرَفَ فى الْخَيْرِ }[٣٤].

منهج الدعوة الحكيمة

فالداعى إلى الله على بصيرة . . أول استخدامه لحكمة وبصيرة الدعوة يجب أن تكون مع أهله ! !، ولذلك نحن نحكم على الداعى من تعامله مع أهله ! ! . . إذا كان أولاده نافرين وزوجته بعيدة عنه وعن طريقه بُعد المشرقين ! ! . . نعرف أنه ليس معه حكمة الدعوة ! ولا عنده بصيرة !

إذا لم يستطع أن يؤلف من حوله كيف يؤلف غيره؟ ! وهذا شأن مشهود، لكن سيؤلف من حوله ويجعلهم يحبون الله ورسوله أكثر من حبهم لأنفسهم، فمثل هذا لو بنى الدعوة سيبنيها على أساسٍ متين لأن الناس دائماً تُعلق نظرها على الداعى ومن حوله، فلو كان فصيحاً وبليغاً يقول البعض

---

[٣٤] تفسير تنوير الأذهان وتفسير حقى لإسماعيل البروسوى عن بعضهم.

نظر إلى فعله . . وننظر إلى زوجه . . ! ! وننظر إلى أبناءه ! ! إذا كانوا ناهجين نهجه . . فهو صادق !، وإن كانوا غير ذلك ؟ ؟ إذاً هو يقول كلام من اللسان ! !، والكلام من اللسان لا يتجاوز الآذان .

إذن أول أسوة نأخذها من خليل الله، ومن حبيبنا سيدنا رسول الله ﷺ قوله للذى طلب منه إذناً بالدعوة ..: { إبْدَأْ بِنَفْسِكَ، ثُمَّ بِمَنْ تَعُولُ }٣٥ ، وفى الأثر المشهور: { أدعُ نفسك فإن استجابت! فادعُ غيرك }

هذه هى كيفية الدعوة السديدة والطريقة الرشيدة بالحجة والبرهان، أو بالمحبة وهى الأعظم فى النفع وفى التقرب إلى حضرة الرحمن ﷻ، هذه وصية أوصى بها نفسى وإخوانى لأن دعوة الله ورسوله تحتاج إلى الحكمة والموعظة الحسنة، وقال الله فى الداعى الحكيم الذى أرسل إليه موسى نبيه الكليم للتعليم: ﴿ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا ﴾ أولاً ثم: ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ (الكهف) إذاً الرحمة أولاً أم العلم؟

الرحمة أولاً ! ثم العلم بعد ذلك، لأن الرحمة يقول فيها إمام الرحمة:

{ جُبِلَتْ القلوبُ على حُبِّ مَنْ أحسنَ إليها } ٣٦

---

٣٥ رواه الطبراني عن حكيم بن حزام، ورواه الشيخان عن أبي هريرة ﷺ.
٣٦ ابن مسعود (تهذيب الكمال)

وأنت كأب في مقام الإحسان لا بد أن يشعروا بحنانك ورقتك ورأفتك ورحمتك وشفقتك وعطفك، لكن إذا كنت تربهم الوجه المتجهم والعصا الغليظة والكلام الشديد كيف يحبونك ؟ ! ! . . من الممكن أن يبقوا معك حتى تحين لهم الفرصة ليتخلصوا ! ! ثم لا يعرفونك بعدها ، ولذلك نرى كثيراً من إخواننا أولادهم ليسوا معنا ، أين أولادهم ؟ في طريق آخر لأنه لا يريد الطريق الذي مشى فيه أبوه ! ! لأنه لم يتابع رسول الله ولم يمش على المنهج الذي ارتضاه الله للحكماء والعرفاء والصالحين من عباد الله جل في علاه . .

بل قد يكون البعض يعامل الخلق بالأدب الجم والذوق الرفيع والكلام البديع ! ! فإذا ذهب إلى المنزل فكأنه وحش كاسر ! ! ، فاللسان يخرج ألفاظاً لا تليق ويصدر منه أفعال لا ينبغي أن تصدر منه ! ! فيسقط من عين أولاده وزوجه كداعٍ، فهو أب على علته . . لكن كداعٍ فهو غير مقبول القول وغير صالح للإقتداء .

مسئولية الداعي نحو أسرته

إذاً يجب على الإنسان أن يكون على المنهج الوسطي الذي كان عليه النبي العدنان ﷺ، البعض يمشي عكس ذلك تماماً فيترك لهم الحبل على

الغارب ! ! ويتركهم على هواهم يفعلون ما يريدون ! ! بدون ضابط ! ! ولا رابط ! ! ولا محاسبة ! ! ، هذا لا يصلح، أنا أتركهم يعملوا ما دام على شرع الله وعلى منهج حبيب الله:

{ كُلّكم راعٍ ومَسؤولٌ عن رَعيّته : فالإمامُ راعٍ، وهو مسؤولٌ عن رعيّته، والرجُلُ في أهلهِ راعٍ، وهو مسؤولٌ عن رعيّتِهِ، والمرأةُ في بيتِ زوجِها راعيةٌ، وهيَ مسؤولَةٌ عن رعيّتِها، والخادِمُ في مالِ سيّدِه راعٍ، وهو مسؤولٌ عن رعيّتِهِ. قال: فسمعتُ هؤلاءِ من رسول الله ﷺ، وأحسبُ النبيّ ﷺقال: والرّجُلُ في مالِ أبيهِ راعٍ وهو مسؤولٌ عن رعيّتِهِ، فكُلّكم راعٍ، وكلّكُم مسؤولٌ عن رَعيّتِهِ } [٣٧]

فإذا حادوا عن الشرع ؟

كأن تركت الزوجة الصلاة، هل أتركها على هواها ؟ لا ! !

لابد أن يكون هناك موقف شرعى معها بالنصيحة أولاً بالطريقة الصحيحة ثم الهجر، وأحضر لها بعض العلماء ليعظوها .

ابني انحرف عن الطريق السوى ! ، إذاً لا توجد رعاية منى له لأن عينى دائماً على ابنى، وإذا كنت من الحكماء فتكون عينى على أصدقاء

---

[٣٧] أبو اليمان ، صحيح البخارى،و عن ابن عمرَ رضي الله عنهما فى رواية أخرى

ابنى . . لأن الإبن فى هذا الزمان مرهون بأصدقائه، لا يفعل إلا ما تأمره به الشلة، أنت تقول له ما تقول وهو ينفذ كلام الشلة . .

إذاً أنا أكون معه من البداية لأعينه على اختيار الصديق الصالح الوفى ولا أترك له الحبل على الغارب إلا بعد الزواج كما فى الأثر: { لاعبه سبعاً، وأدبه سبعاً، وصاحبه سبعاً، ثم زوِّجه، وألق له الحبل على الغارب}، وفى الحديث : { زَوَّجَهُ أَبُوهُ ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهِ وَقَالَ: قَدْ أَدَّبْتُكَ وَعَلَّمْتُكَ وَأَنْكَحْتُكَ أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ فِتْنَتِكَ فِي الدُّنْيَا وَعَذَابِكَ فِي الآخِرَة } [٣٨]

لكن هل ألقى له الحبل على الغارب وهو طفل صغير؟ لا، وهو شاب فتىّ؟ لا، كثير من الآباء فى هذا الزمان يظنون أن كل ما عليهم وما هم مكلفون به هو إحضار الطلبات التى يطلبها الغلام! وليس له دخل بسلوكه!، ماذا أعمل إذن؟ قال ﷺ: { أدبُوا أَوْلاَدَكُمْ عَلَى ثَلاَثِ خِصَالٍ: حُب نَبيكُمْ، وَحُب أَهْلِ بَيْتِهِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ} [٣٩]

هذا هو الواجب علىَّ . . كأن آخذه وأزور معه آل البيت، وأعرفه بهم سواءاً أحياءاً أو منتقلين، لكن إذا تركته فإنه سيذهب فى طريق وأنا فى طريق آخر، إذاً يجب علىَّ أن أشده ما دام لى ولاية عليه . . إلى حب

---

٣٨ عن أنس ﷺ،تنقيح القول الحثيث بشرح لباب الحديث، وغيره
٣٩ عبد الكريم الشيرازي في فَوَائِدِه، وابنُ النَجّارِ عن عَلِيٍ، جامع المسانيد والمراسيل

الصالحين أحياءاً ومنتقلين وحب سيد الأولين والآخرين ﷺ .

بعض الناس يفرح عندما يتفوق إبنه فى الدنيا فى دراسته مثلاً ويتركه وشأنه، لا يجب ذلك، فإذا كان متفوقاً فى دراسته أنا أريده أن يكون متفوقاً أيضاً فى فراسته، ليكون له فراسة يتخير بها الأمور ولا يخضع فيها للمتشابهات، ويفرق بها بين الحلال والحرام ويفرق بها بين الذنوب والمعاصى والآثام ويفرق بها بين الخلان والإخوان، كيف ؟

بأن يكون معى فى حب الصالحين وحب آل بيت رسول الله أجمعين .

فالمسئولية تحتاج إلى الوسطية التى يقول فيها الإمام أبوالعزائم ﷺ: { وسطاً فكن يا طالب الإقبال } ،فلا يكون الإنسان شحيحاً على أهله ولا مسرفاً فى الإنفاق على أهله: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴾ (٦٧ الفرقان) لا يكون الإنسان قاسياً جداً على أهله ! ولا متساهلاً جداً مع أهله ! لكن يكون على الوسطية المحمدية فى كل أحواله، ويحرص قبل ذلك وبعد ذلك وأثناء ذلك أن تكون عينه ترعى أولاده الرعاية الإسلامية على الدوام .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الفصل الثالث

دعوة أصحاب رسول الله ﷺ إلى الله [٤٠]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رفع الله شأن أصحاب رسول الله ﷺ وجعل لهم فى الدنيا منازل كريمة وفى الآخرة درجات عظيمة، لأنهم ﷺ وأرضاهم عرفوا مقصد الحبيب ﷺ ،فكان كل همه ومبلغ علمه أن يبلغ دعوة الله ﷻ إلى خلقه، لا يبغى من وراء ذلك ذِكراً ولا صيتاً ولا شكراً ولا أجراً (٤٧ سبأ).:

﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ﴾

ورأوه ﷺ فى شدته عرض عليه أعداءه المال فأباه، وعرضوا عليه الملك والسلطان فلفظه، وعرضوا عليه الدنيا بطيباتها وشهواتها فزهد فى كل ذلك، وقال لقائلهم عندما قال له كما ورد فى الكثير من كتب السيرة: إن كنت تريد بما آتيتنا به مالاً جمعنا لك أموالاً حتى تصير أغنانا وأكثرنا مالاً، وإن كنت تريد بما جئت به ملكاً ملكناك علينا حتى لا نصنع أمراً

[٤٠] العدوة، المنيا، منزل الحاج أحمد زكى، بعد صلاة الظهر، الأربعاء ١٩ نوفمبر ٢٠٠٨ م

إلا عن رأيك، وإن كان الذى يأتيك رئياً من الجن طلبنا لك الكهنة والسحرة ومهرة الأطباء حتى تشفى وتعافى، قال: هل انتهيت يا هذا من قولك ؟قال: نعم، قال: اسمع منى، وتلا عليه آيات من سورة حم، فقام الرجل منبهراً بما رآه، وعلم أن هذا الرجل صلوات ربى وتسليماته عليه لا يريد بدعوته إلا وجه الله وتبليغ رسالة الله إلى خلق الله، لا يريد منهم أن يعظموه لأنه بلغهم، أو يكرموه لأنه أول من أخذ بأيديهم إلى طريق الله، وإنما يريد أن يكرموا أنفسهم وأن يعظموا مكانتهم عند الله بالعمل بالشرع الشريف الذى جاء به من عند مولاه ﷻ.

عرف أصحاب الحبيب هذه الحقيقة فقاموا بأثره على هذه الطريقة:

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ (١٠٨ يوسف)

فكان كل رجل منهم همه الأعظم أن يأخذ بأيدى الخلق ليدلهم على الله، التاجر فى تجارته وإمام التجار والأخيار الأبرار أبوبكر الصديق ﷺ كان يدعو الخلق إلى الله وهو فى تجارته ووثق فيه السامعون لصدقه فى بيعه وشرائه وأمانته، لم يكن خطيباً يخطب فيهم ولا مؤلف كتب يقرأوا فيها، وإنما علموه وعرفوه وخبروه ووثقوا فيه بما رأوه فيه من الصدق والأمانة وحسن

التعامل في التجارة، فكان الذى يدعوه إلى الإسلام لا يجد عند نفسه كبوة بل يدخل فوراً . . ! !

ولذلك يذكر التاريخ أن الذى دخل الإسلام على يد الصديق من الأكابر ،سيدنا عبد الرحمن بن عوف، وسيدنا عثمان بن عفان، وسيدنا سعد بن أبى وقاص، وسيدنا طلحة بن عبيد الله، وسيدنا الزبير بن العوام .

ناهيك بهؤلاء الأكابر ولم يمن على واحد من هؤلاء بأنه هو السبب فى دخوله الإسلام ولم يطالبه يوماً بأن يعظمه أو يبجله أو يكرمه ! لأنه الباب الذى دخل منه الإسلام، لم يطلب منهم ذلك ! . . ولم يخطر على باله ذلك . .

لأنه يدعوهم لله ولا ينتظر عطاءاً ولا تكريماً إلا من حضرة الله جل فى علاه، ويعلم علم اليقين أن خير تجارة هى التى يقول فيها الله:

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ دعا إلى الله بلسانه وعمله الصالح يؤيد بيانه وحاله بين المسلمين، لا يرى لنفسه شأواً ولا شأناً ولا رفعة: ﴿ وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (فصلت)،لم يقل حتى من المؤمنين أو المحسنين أو المكاشفين أو الصالحين أو الموقنين، وإنما جعل نفسه فى أقل الدرجات لأنه علم أن كل ذلك فضل من الله ﷻ ونعمة والله عزيز حكيم .

ومنهم من ترك العز والثراء والغنى الدنيوى وطلب من الحبيب أن يوظفه فى الدعوة لينال الذكر الحسن عند ربه والغناء الأخروى كمصعب بن عمير ﷺ . . :

جهَّز نفسه فحفظ كتاب الله وأتقن ما تعلمه من العلوم من سيدنا رسول الله، وأخذ أسلوب الدعوة الذى تعلمه من الحكمة والموعظة الحسنة من سيد الدعاة ﷺ وعرض نفسه عليه وقال، أنا طوع أمرك، أرسلنى بما شئت إلى من شئت، فأرسله إلى المدينة المنورة .

فهدى الله الناس على يديه ببركة صدقه فى دعوته إلى الله ﷻ، ولم يطلب بعد ذلك من الحبيب مقابل ذلك بأن يعينه فى منصب دنيوى لأنه أدى رسالة، أو يكرمه بسعة مادية لأنه بلغ الرسالة وإنما يعلم علم اليقين أن الله ﷻ أعد لهؤلاء الأقوام مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

ومنهم بمجرد أن بُلغ بالدعوة وجاء إلى حضرة النبى وأعلن أمامه دخوله فى دين الله كلفه فوراً بدعوة قومه كسيدنا أبى ذر الغفارى ﷺ .

فعندما سمع عن حضرة النبى ﷺ ، أرسل أخاه ليتقصى حقيقة هذا الرجل، فدخل مكة وسأل عنه ونقل إليه أخباره، فعلم أنه صادق، فجاء بنفسه وكان أخوه واسمه أنس قد أخبره ان أهل مكة يتعرضون بسوء لكل من

يطلب مقابلته أو الإيمان به وبرسالته وبدعوته، فتَخَفى حول الكعبة، فكان يتخفى بين أستار الكعبة وجدارها نهاراً ولا يظهر إلا ليلاً، فيقول ﷺ: **مكثت شهراً ليس لى مطعم ولا مشرب إلا ماء زمزم — شهر كامل ليس له زاد إلا ماء زمزم، منه طعامه وشرابه وكل ذلك فى سبيل أن يلتقى بالحبيب ﷺ .**

حتى أكرمه الله ﷻ لصدقه فمر به الإمام على ﷺ وكرم الله وجهه فقال: الرجل ضيف ؟ قال: نعم، قال: اتبعني، ولم يسأله لأنهم كانوا يكرمون الضيف لله، لم يسأله لماذا جئت ؟ أو من أين ؟ أو ما إسمك وعائلتك ؟ فضيفه وأطعمه وبات عنده، وفى الصباح توجه إلى الكعبة، وفى المساء إذا بالإمام علىّ يلقاه مرة أخرى وقال: أما آن للرجل أن يعرف منزله، ومكث ثلاثة أيام لا يسأله عن شيء، حتى قال أبوذر لما استأنس به :يا أخى إنى جئت لأتقصى عن هذا الرجل القرشى الذى هو من بنى هاشم والذى يدّعى النبوة، فقال الإمام على: لقد سقطت على الخبير ! !

فحدثه عنه حتى اطمئن قلبه وقال: إنى أريد أن أذهب إليه، قال حتى تستكنّ الرجل، وكانت الدعوة سراً، فأخذه فى جنح الظلام إلى رسول الله، وورد فى صحيح مسلم والبخارى أن رسول الله لقاه ومعه أبو بكر وهو الذى ضيفه وأطعمه . .

وحتى نعلم أن رجال الله لهم إلهام يلهمهم الله به في قلوبهم حتى قبل أن يتصل بالوصلة الظاهرية بأولياء الله أو بأنبياء الله ورسل الله دخل أبو ذر على حضرة النبي وقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فكان أول من سلم بتحية الإسلام، لم يعلمه ذلك أحد لكن علمه العليم ﷻ – وجلس وأعلن إسلامه، ثم قال: يا رسول الله مرني بأمرك:

{ فقال ارجع إلى قومك حتى يأتيك خبري – هجرتي للمدينة كما ورد في رواية أخرى– فقال والله لا رجعت حتى أصرح بالإسلام فغدا إلى المسجد فقام يصرخ بأعلى صوته أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد عبده ورسوله فقال المشركون صبأ الرجل ثم قاموا إليه فضربوه حتى سقط فمر به العباس بن عبد المطلب فأكب عليه وقال قتلتم الرجل يا معشر قريش أنتم تجار وطريقكم على غفار أفتريدون أن يقطع الطريق فكفوا عنه فلما كان الغد عاد لقالته فوثبوا عليه فضربوه حتى سقط فمر به العباس فأكب عليه وقال لهم مثل ما قال بالأمس فكفوا عنه فهذا كان بدؤ إسلام أبي ذر ﷺ.} [٤١]

فذهب إلى قومه ودعاهم إلى الإسلام فآمنوا جميعاً، ولذلك قال ﷺ:

---

[٤١] عن ابن عباس رضي الله عنهما، معجم الطبراني الأوسط.

{ غِفَارُ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا } لما استجابوا لهذا الرجل لما رأوا فيه من الأحوال التقية والأخلاق المُرضية والسلوكيات السوية .

فإن الناس في أي زمان ومكان لا ينظرون إلى ما يخرج من اللسان إلا ويزنونه بالأحوال التي تظهر على هذا الإنسان، فإذا ما كان يخرج من لسانه كلام يطابق فعله صدّقوا به واتبعوه، وإذا ما كان يخرج من لسانه لا يطابق فعله استخفوا به وازدروه واستهزءوا به لأنه دخل في قول ربه:

﴿ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ ﴾ (الصف)

فقاموا جميعاً دعاة إلى الله ﷻ على هدى رسول الله، لا يطلبون شهرة ولا سمعة ولا ظهوراً، ولا يطلبون مقابلاً من الذين استجابوا لهم إن كان مالاً أو تعظيماً أو تبجيلاً أو تفخيماً أو إكراماً أو حتى كلمة شكر، بل يرددون ما استحبه الله من الدعاة:

﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝ ﴾ (٩ الإنسان) لأن الأجر على الله ﷻ: ﴿ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ﴾ (٤٧ سبأ)

وهذا حال الصالحين والمتقين والحكماء الربانيين في كل زمان

ومكان، يدعون إلى الله طلباً لمرضاة الله جل وعلا، ولذلك تجد لقولهم تأثيراً فى القلوب ولحالهم نوراً يزكى النفوس ولأفعالهم نبراساً يتأسى به الخلق رغبة فى رضا الملك القدوس ﷻ، والله ﷻ بعد ذلك لأنهم يدعون إليه يغطى كل حاجاتهم في عالم الدنيا ويعليهم ويظهرهم بين خلقه تأييداً لهم حتى يعلم الخلق أن من أخلص مع الله لا بد أن يؤيده مولاه جل فى علاه.

وهذه سيرة الصالحين فى كل زمان ومكان تأسيا بسيد الأنبياء والمرسلين سيدنا رسول الله ﷺ..

فيا هناء من أنزل نفسه فى هذا المقام.. ونذر نفسه لله.. وجعل وقته وماله وما ملكت يداه فى خدمة الله ورسوله..!!

لا نستطيع نحن ولا غيرنا ولا المجتمع بأكمله أن يكافئه على كلمة واحدة هدى بها القلوب إلى الله، وإنما الذي يستطيع أن يكافئه هو مولاه جل فى علاه، هذا ما ينعقد عليه قلب الداعى من البدء إلى الختام.

لو تغيرت هذه النية فقد فسخ عهده مع الله!! فيُكله الله إلى نفسه تنهشه الدنيا لأنه يريد أن ينال منها، ولا ينال منها إلا ما كُتب له!!

وعندها لا يجعل سبحانه فى كلامه ولو كان أبلغ البلغاء وأفصح الفصحاء قبولاً فى قلوب الخلق!!.. لماذا؟

لأنه أصبح ولا يريد بكلامه وجه الله !ولا رضا الله جل وعلا، وإنما يريد إقبال الخلق أو يريد الظهور والشهرة بين الخلق فلا يبلغه الله ﷻ ذلك لأنه حاد عن المنهج الذى رسمه الله ﷻ لحبيبه وكان عليه كل من تبعه فى ذلك:

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ (١٠٨ يوسف).

هذه يا أحباب أهم مهمات الداعى إلى الله ﷻ . .

التى يجب أن ينعقد عليها قلبه ولا تفارقه نفساً ولا أقل .

ولذلك يقول الإمام ابوالعزائم ﷺ فى ذلك:

{ الداعى إلى الله إذا أخذته صولة الحق وأنطق الله لسانه بالحقائق العالية والعلوم الراقية يعلم علم اليقين أن ذلك من الله، فإذا انتهى من الكلام رجع إلى مقام العبودية ووقف عند أصله وحقيقته الطينية لينسب هذا الفضل كله إلى رب البرية سبحانه وتعالى، فيرى البيان والكمال والجمال من الله ﷻ }

وتكفينا هذه الحكمة لو عملنا بها إن شاء الله .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الفصل الرابع

نموذج من أساليب دعوة العارفين الحكيمة [٤٢]

العارف بالله الشيخ محمد على سلامة رضي الله عنه [٤٣]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾

إخواني القارئين والقارئات ، إنَّ أهم ما أخذناه من صحبة الصالحين رضي الله عنهم هي الحكمة العالية في الدعوة إلى الله عز وجل ،وربما لا تتضح لك أبعاد هذه الحكمة إلا بعد حين، وسأضرب لكم أمثلة من دعوة شيخي وأستاذي

---

[٤٢] طفنيس، الاثنين ٢٠/١/١٤٢٩هـ ٢٨/١/٢٠٠٨م، درس العصر- ديوان بطومية الكيمان

[٤٣] ولد العارف بالله الشيخ محمد على سلامة فى ٢٠/١١/١٩٢٨، وتخرج من كلية أصول الدين بالأزهر الشريف، عمل بالعديد من الوظائف بمجال الدعوة بوزارة الأوقاف حتى كان مديرا عاماً لأوقاف محافظة بورسعيد، وأسس جمعية الدعوة إلى الله سنة ١٩٨٥بالقاهرة، ولفضيلته حوالى الثلاثين مؤلفا إسلامياً والمئات من التسجيلات الصوتية، وسجَّل القرآن الكريم بصوته الرخيم ؛ستجابة لطلب د.عبد المنعم النمر وزير الأوقاف الأسبق، وقد انتقل إلى رحمة الله بمكة المكرمة أثناء تأدية شعائر حجٍ عام ١٩٩١م ، ١٤١١هـ ودفن بمقبرة المعلا بمكة المكرمة، عن عمر ثلاثة وستون عاماً قضاها كلها فى طاعة الله ونشر دينه فى ربوع العالم الإسلامى وتربية الصادقين فى طريق رب العالمين، ومن يريد المزيد عن فضيلته فليرجع لكتابنا " الشيخ محمد على سلامة سيرة وسريرة".

العارف بالله تعالى فضيلة الشيخ محمد على سلامه ﷺ وأرضاه.

على سبيل المثال، كنت يوما عند فضيلته ﷺ فى منزله فى ههيا بمحافظة الشرقية بمصر، وإذا برجل يأتى بمسألة فى الطلاق، وأنا على يقين أن الشيخ ﷺ كان على دراية كاملة بالفقه علي المذاهب الأربعة– لأنه والشيء بالشيء يذكر عندما جاء هنا إلى طفنيس بالصعيد موفدا من قبل وزارة الأوقاف، ووجد أهل هذه البلاد مالكية ودراسته التي أخذها كانت على المذهب الشافعي، أحضر كتب المالكية ودرسها لكي يفتى أهل البلدة ويؤمهم بمذهبهم– لكن فوجئت به يكتب المسألة! ويطلب من ابنته أن تذهب إلى شيخ الجامع الكبير فى ههيا أى فى المركز! وتأتى بالإجابة!! ولم أدرك سرَّ هذا إلا قريباً كيف؟

فى المنطقة التي أقطنها يأتيني الناس كذلك فى فتاوى الطلاق، ومنذ عامين تقريباً توقفت، ومن يأتيني أقول له عليك بلجنة الإفتاء!، لماذا؟

ذلك لأني وجدت الناس يكذبون ولا يقولون الحقيقة ومبدأهم كما يقول المثل ((ضعها فى رقبة عالم واخرج منها سالم))، وبالطبع فإن العالم يفتي على العرض، وبما أن الناس يكذبون!!، فقد وجدت أنه من الأسلم توجيه الناس إلى لجان الفتوى بالأوقاف، والمساجد الكبرى

فمثلاً مسجد سيدي أحمد البدوي، به لجنة فتوى معقودة باستمرار من ثلاثة علماء، وتعرض المسألة على ثلاثتهم ويفتون فيها، وقد ذكرت هذا الموضوع خصيصاً حتى لا يسارع إخواننا الدعاة بارك الله فيهم فى مسألة الإفتاء ! ! خاصة فى الطلاق ! والميراث ! . .

فالناس فى هذا الزمان لا يعرضون القضية بأمانة، وكل واحد منهم يعرض مسألته من الزاوية التي يضمن بها أن تحكم له ! ! وبعد ذلك يقول أن الشيخ فلان حكم لى — والطرف الآخر يعرف القضية بأبعادها . . فيقول أن هذا الشيخ ظالم ! أو جاهل ! ولا يعرف أن الطرف الأول عرض الحقيقة مبتورة ! ! وإذا كنت عالماً وأردت أن تفتى فى قضية طلاق ! فلا بد من حضور الطرفين !، والأسلم من ذلك أن توجههم إلى لجنة الفتوى . . قد يقولون عندها أنك غير عالم !، فليكن ! تكون أنت الغانم السالم ! !

وقد كان سيدنا الإمام مالك ﷺ يسأل المائة مسألة فلا يجيب إلا عن مسألتين ويقول فى الباقى لا أدرى { من قال لا أدرى فقد أجاب } وهذه حكمة عالية قد تعلمناها من هؤلاء الدعاة ﷺ.

والحمد لله فى بلادنا مجموعة كبيرة من الدعاة، أكثرهم مجتهدون، ويما تعلمته من أسيادنا الصالحين اخترت أن أكون من المقلدين !، ولا شأن لى

بالاجتهاد فأنا أحيل هذه الفتاوى إلى لجان الفتوى المتخصصة، وما كان يمشى عليه الشيخ ﷺ فأنا على دربه أمشي لا أغير ! ولا أبدل ! وذلك لأنى نظرت إلى ما كان عليه الشيخ فوجدته الأتم والأكمل، فبماذا أجيء بعد ذلك ؟

وخذوا مثالاً ثانياً فى فقه الدعوة عنه ﷺ، فقد كان مثلاً يختم المجلس — وكان كل درس فى المسجد يعتبر مجلساً مستقلاً — بقراءة الفاتحة للحاضرين ، ومعها دعاء . . وبعد ذلك يقرأ الفاتحة لأهل البلدة، وبعد ذلك يقول الفاتحة لرجال الله الصالحين وسكان هذه البلدة ،ومشايخنا ، ومشايخكم، وذلك لأن لكل الحاضرين من الصوفية شيخه، بذلك يكونوا كلهم مشتركين فى هذه الفاتحة، وبعد ذلك عندما يخص شيخه وهو مولانا الإمام أبو العزائم لا تتغير نفوس الحاضرين لأننا ذكرنا كل المشايخ .

ثم بعد ذلك يقرأ الفاتحة لوالدينا ووالديكم وأمواتنا وأمواتكم وأموات المسلمين أجمعين ! ثم بعد ذلك يقرأ الفاتحة لكل من له حاجة، ثم بعدها الفاتحة الخاتمة لسيد الأولين والآخرين ﷺ بعد هذا الختام .

هل هناك من شيء لم يشمله الشيخ بالدعاء ؟

لماذا إذاً لا نمشى على هذا النهج فى كل أحوالنا ومجالسنا وبلادنا ، وأنا كمقلد أتبع هذا المنهج ! أما إخوانى المجددون المجتهدون فلهم الخيار، أما

المنهج الذى إرتضيناه واخترناه، فهو المنهج الأكمل لأنه من وارث رسول الله ﷺ وكان من أكمل الناس وأعلم الناس بحاجات الناس فى هذه الحياة .

وهكذا وفى الحقيقة كل ما كان عليه الشيخ عندما يتفكر فيه الواحد ويتدبر يجد أنه ليس عن هوى ! وإنما كان عن إلهام من الله ! ! فرسول الله ﷺ له الوحي ونحن لنا الإلهام من الله ﷻ . .

فالداعى على بصيرة الذى يريد أن يقتدي بأهل الإلهام عليه أن يطرد حظ نفسه وهواه ! ويقتدي بهم كما ينبغي ليرزق بالإلهام كما رزقهم الله .

ولذلك فإن إخواننا الذين يجتهدون ويريد الواحد منهم أن يأتى بشيء جديد من نفسه تجد أن الفتح يقف أمامه فلا يأتيه أبداً لأن الفتح ليس بالجهاد ولا بالاجتهاد وإنما بالاصطفاء من الله ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِى مِنَ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ (٧٥الحج) . . من الذى يصطفى هنا ؟ . . الله ﷻ ، والصالحون من عباد الله لهم جانب عند ربهم ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ﴾ (٢٢ الشورى) ولذلك من يرشحونه . . ويزكوه . . هو من يصدر له قرار الاصطفاء .

وفى الحقيقة فإن كل الخير الذى أنا فيه من بركة شيخى الشيخ محمد على سلامة ﷺ وأرضاه عنى، وكل ما أحمد الله ﷻ عليه ولا أستطيع

شكره عليه أنه كان يحبني ويعلم الجميع ذلك (فبحبه فازوا بكل مراد).

فهذه الطريقة الحكيمة يا إخواني هى التي يجب أن نأخذها من الصالحين وليس من الكتب لأن الكتب تقول وتتركك ! ! أما هؤلاء فإنهم يعلموك كيف تصول ! وتجول ! في المجالس وأنت موصول بأنوار الرسول ! وليس بالفكر ! ولا بخواطر النفس ! فكلها إلهامات من الله ﷻ

ولذلك عندما يمشى الواحد على النهج وعلى الخطى، ربما يتعجب البعض ! فهي نفس القاعدة ، فالفواتح التى تقرأ كما هى ! ! لكن الدعاء الذى يجئ هنا . . بخلاف الدعاء الذى يجئ هناك ! ! فهل جهزت هذا الدعاء أو حضرته ؟ أبداً . . ! ! بل إن الدعاء الذى يلهم به الواحد هنا مناسباً لمن هنا ، والدعاء الذى يلهم به الواحد هناك مناسباً لمن هناك، وهكذا لأنه إلهام من الله ببركة حبيب الله ومصطفاه، وببركة رضا الرجل الوارث الذى صحبناه ﷺ وأرضاه .

وعندما يأتى ولد من أولادنا طالب بالفرقة الأولى فى الجامعة ويريد أن يزاحم الدكاترة والأساتذة فهل ينفع ذلك ؟ ! ! ألا تنتظر حتى تأخذ الدكتوراه على الأقل ! فإنك مازلت فى الفرقة الأولى ؟ وحتى إذا إنتهي من الجامعة !ومازال معيداً هل يصح أن يزاحم الأساتذة ؟ لا إذاً لابد وأن

تعرف أن المقام محفوظ وكل من سبقك ولو بيوم صدق فى صحبة الشيخ ! ! فله فضل السبق عليك . . ولابد أن تراعى ذلك، وهذا فضل الله . . .

لكنك بهواك تريد أن تمشى ويكون لك كينونة وقد قالوا: { من زاحم ليكون لا يكون، ومن زاحم ليحل فى القلب فذلك فى المحل الأعلى }.

وقد علمنا الشيخ ﷺ فى درس عال وغال إن الداعى على غير بصيرة عندما يحب أن يأتى بالغريب إلى الناس ! يذهب إلى كتب الرقائق الصفراء ! ويأتي منها ليبهر الناس كما يظن ! ! والكثير من إخواننا الدعاة يفعلون ذلك ! !— وبالطبع فكثير من الكتب بها أحاديث غير صحيحة ! ! وإسرائيليات ! ! وقد قال لنا الشيخ فى ذلك :{ إذا حدثتم العلماء فحدثوا بالأحاديث الصحيحة }وإذا كانت نيتك طيبة وكنت موصولاً فسيأتى لك الإلهام فى المعانى . . حتى ولو فى حديث شائع . . ومعروف . . ومتفق عليه . . فسيرزقك فيه بمعانى جديدة

فما الذى يجعلك تتجشم الصعاب وتأتى بالأحاديث الضعيفة والروايات المشكوك فى صحتها وترويها ؟ لا ! ! فبعد تحصيل العلم اللازم للداعى، فإن علينا ألا نفتش فى كتب السابقين فحسب ! !ولكن فلتعلو همتنا للتلقى من قلوب الصالحين، وهذا هو الجديد ! والبحر المديد !

لأن كثيراً مما بكتب السابقين من معلومات قد تكون عفا عليها الزمن ! والكثير منها يلزم تغييرها فلم تعد مطابقة للعصر ! ! لكن ما ينزل على قلوب الصالحين فهو أحدث تكنولوجيا علمية قرآنية مناسبة لهذا الزمان ! !

فالمفروض عليك أن تأخذها من رجالها وتنقلها . . لكن بعض إخواننا الدعاة تغلبه نفسه ! ويقول هل أعيد هذا الكلام مرة أخرى ؟ ويستكبر ! ويستعظم أن يعيد ! ويريد أن يكون دكتوراً ويأتى بالجديد !

إذاً فابقى كما أنت حديد ! ! فلن يأتيك مدد جديد من الحميد المجيد أبداً ، لأنه لا يكون هناك دكتور ! ! إلا إذا كان أولاً . . معيد !، فلابد وأن يعيد ! ! ويرضى عنه الدكتور المشرف الرشيد ! ! لكى يسجل رسالته . . ويصبح له بعد ذلك منهج جديد من الحميد المجيد .

من هدى الشيخ سلامة ﷺ فى خطبة الجمعة

ولا أنسى أن أشير إلى هدى شيخنا ﷺ في خطبة الجمعة، فقد كان ﷺ يتحرى أن تكون خطبة الجمعة ذات موضوع واحد ، لا يخرج عنه الخطيب حتى لا يشتت السامعين، . . ويقول فى ذلك : { المهم يا بني أن يخرج الناس من المسجد وقد عرفوا موضوعاً محدداً من أمور

دينهم واستوعبوه ليعملوا به }

وكان يتحرَّى دائماً أن تكون موضوعاته على المنبر أو في دروس المساجد من الموضوعات العامة التي يحتاجها كل مسلم، ويبتعد عن ذكر الأمور الخلافية أو الإشارة إليها، وكذا ما يثير الفتن والمشاكل بين الناس.

وكان يلقى الخطبة بلغة سهلة وواضحة تناسب مستوى الحاضرين لتصل مباشرة إلى قلوبهم قبل أسماعهم، مع الحرص ألا تكون طويلة مملة أو قصيرة مخلة، وقد كان من غرائب هذا أنني كنت أتابعه ﷺ وأنا ممسك بساعتي فكان لا يزيد على سبع عشرة دقيقة في كل خطبة إلا نادراً جداً، ومع ذلك نخرج وقد استوعبنا الموضوع من جميع نواحيه، وكان يقول لنا دائماً في ذلك: { لأن نترك الناس راغبين خير من أن يتركونا زاهدين }.

كما كان ﷺ يحرص على التبشير في كل خطبه ودروسه، ولا يميل إلى التشديد والتعسير، ويفتح للناس أبواب رحمة الله تعالى الواسعة، ويمزج ذلك بتخويف لا يقنطهم من رحمة الله تعالى.

كما كان ﷺ شديد الأدب في الحديث عن العلماء جميعاً، فلا يجرِّح أحداً من المعاصرين! حتى ولو أخطأ بل يلتمس له العذر ويبرر له موقفه ومع ذلك يقرر الصواب بطريقة حكيمة، أما السابقين فيترضى عنهم أجمعين.

وكان لا يؤيد من يحفظ الخطب ! أو يستظرها ثم يلقيها ! ويقول لنا : مفهما وشارحا : { نحن لا نحب لأحد من إخواننا أن يحفظ الخطب ثم يكررها بالنص، ولكن يفهم المحتوى ثم يعبِّر عنه بأسلوبه }

فنعم المربي رضي الله عنه كان لنا ، فجزاه الله عنَّا خير الجزاء بمغفرة ورضوان وخير في الدنيا والآخرة .

الأناة والرغبة فى عدم الظهور

وقبل أن أختم هذه النسمات المباركات عن ذلك الشيخ العارف الوارث كأنموذج فى طريق الدعوة المباركة ، أذكر بأنه من أهم الحكم التي تعلمناها من شيخنا الشيخ محمد على سلامة ﷺ ، وما أكثر الحكم التي تعلمناها منه فى هذه الحياة . . الأناة والرغبة فى عدم الظهور مع القيام بأعباء دعوة الله جل فى علاه وقد كان يقول لى : { أنــت كالجنــدى المجهول، قل أعمل ولا أريد أن يعرفني أحد } . . وذلك هو الجزء الأساسي للداعي، فإذا كان الدعي يحب الظهور ! فحتى لو كانت له أنوار . . فأنواره فى أفول ! ! وعلى الداعي أن يكون عمله خالصاً لوجه الله، ولا يريد أن يعرف عنه شيئاً قليلاً أو كثيراً إلا من مولاه جل فى علاه فلا يحدث

عن نفسه ولا يتحدث ، ولذا كان ﷺ وكان كثيرا ما يقول :

{ يابنى اعمل ولا يهمك معرفة شيخك أنك تعمل، لأنك تعمل لله! لا لشيخك! }

ولذلك لدينا علامة !، إذا جاء الداعى أو المنسوب للدعوة وقال أنا كذا وكذا ! ! علينا أن نقول له إنك لا تنفع ! من قال أنا فقد نأى! عمن تتكلم إذاً ؟

تتكلم عن الله . . أو عن رسوله ﷺ أو الصالحين من عباد الله، أما أن أتكلم عن نفسى فما الذى معى حتى أفعل ذلك ؟ فإنهم لو عينونى خادماً على أعتابهم فيا هناى وقد قال الأمام أبو العزائم ﷺ فى ذلك :

قبلت نعل محمد يا فرحتى .. أنا خادم الأعتاب فافهم مكانتى

وحتى لو تكلم الداعي عن شيخه ! فعليه أن يتكلم عن شيخه وحسب !، لا عن نفسه من خلال كلامه عن شيخه — فهو إن فعل ذلك فإنه يريد الظهور !وفى هذه الحالة فإنه مسكين !ويريد أن يرجع مرة أخرى للسير والسلوك إلى ملك الملوك ﷻ ، فماذا يجب على الداعي ؟

يجب عليه أن يظهر كمال الله وجمال الله للمؤمنين بالله ، وأدب رسول الله وأخلاقه للموحدين بالله، وجمال دين الله لغير المؤمنين بالله ! ليدخلوا فى

دين الله — وهذه هي وظيفة الداعي.

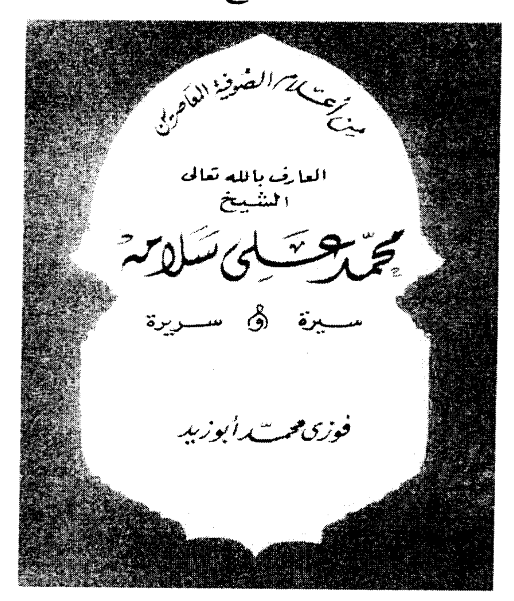
فهو يكلم المؤمنين عن جمال الله ليعشقوا الله، أو عن حبيب الله لكي يتخلقوا بأخلاقه، أو يوضح لهم ما غاب عنهم من شرع الله، ومع غير المؤمنين يكلمهم عن جمال هذا الدين لكي يدخلوا فيه، ولذلك قال أبو العزائم ﷺ:

{ إذا رأيت الرجل يشطح لسانه في أسرار مزيته!! فاعلم أن ذلك من نقصٌ في مقام عبوديته }

أى ليس له مقام فى مقامات الرجال ومازال فى التربية فلا يصح الوصول إلا إذ قلت (منه وإليه وبه وله)فلا يجوز أن تقول منى ولا لى ولا عندى ولا بى!! لأنه بذلك تكون لك (أنانية) تشارك بها رب البرية ﷻ ، وقد حذرنا الصالحون ممن قالوا ذلك فى القرآن، فمنهم من قال: أَنَـا رَبُّكُـمُ الأَعْـلَى !، ومنهم من قـال أَلَيْـسَ لِـي مُـلْكُ مِصْرَ !!، ومنهم من قال: أُوتِيتُـهُ عَـلَى عِـلْمٍ عِنـدِي!! وقد حذر الصالحون من قول هذه الألفاظ : لا أنا! ولا لى! ولا عندي! فماذا تقول إذاً ؟ عليك أن تقول : وَلِلّهِ مُـلْكُ السَّـمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ، أو هَـذَا مِن فَضْـلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ، أو هذا بـالله ولله ومن الله وإلى الله وأنا عبد ضعيف أجرى الله ﷻ الخير على يدي لخلق

الله !! . . فماذا معي ؟ لا حول ولا قوة لأي عبد إلا بمولاه جلّ ! فى علاه ،
وصلى الله وسلم على سيدنا محمد

غلاف كتاب العارف بالله الشيخ محمد على سلامه



الفصل الخامس

الدعوة إلى الله بإذن من رسول الله ﷺ [٤٤]

إخواني وأحبابي بارك الله ﷻ فيكم أجمعين:

سؤال نريد أن نوضحه وموضوع نريد أن نستكشفه في هذا الفصل، نسمع ونحن في رحاب الصالحين عن بعض الصالحين يؤذن لهم في الكلام! ويؤذن لهم في تأليف الكتب! لبيان بعض ما فتح به عليهم الملك العلام ﷻ، ما المؤشرات التي وضعها الصالحون لذلك؟

أول ما يحرص عليه الصالحون في نصح أي مريد في طريق الله ﷻ أن يجعل همه كله في أي أمر يعتريه أو يقوم به أن يحافظ على توجهه لربه حتى لا يلتفت عنه إلى شيء غيره إلا إذا وصل إليه وكان الله ﷻ هو الذي يوجهه إلى الأفضل عنده ولديه، ولذلك ما من رجل منهم من الأئمة الأعلام نطق بكلمة واحدة إلا بعد الإذن من المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

---

[٤٤] بنها، بعد صلاة الجمعة، ٣٠ ذي القعدة ١٤٢٩ هـ، ٢٨ نوفمبر ٢٠٠٨ م

وإذا أخذ إذناً من أحد نواب حضرته فليعلم أن ذلك إنما هو لدعوة غيره إلى هذا الشيخ، لأن الشيخ لا يدعوا إلى نفسه !!، فأى شيخ يدعوا إلى رسول الله ! ورسول الله يدعوا إلى الله !!

فالمريد إذا أذن له شيخه ! إنما ليتكمل فيمن يدعوهم من إخوانه ! لا ليكمل غيره . . لأنه فى حاجة إلى التكميل !، ويدعوا إلى شيخه لا إلى نفسه !، ولذلك إذا وجدت مريداً أبطأ عليه الفتح أو لم يجد قبولاً لدعوته بين الخلق !! فاعلم أن ذلك من حجاب فى نفسه، فهو وإن لم ينظر بعين قلبه يدعو الناس إلى نفسه وليس إلى شيخه فيحجب بهذا عن طريق الكرام ﷺ، لكن المشايخ أنفسهم لا يدعون إلى أنفسهم وإنما يدعون إلى رسول الله !!

وإذا وجدت اثنين من المريدين يختلفان فإنما لغلبة أنفسهما عليهما، فلو كان الكل يدعوا إلى شيخه ! والشيخ يدعوا إلى رسول الله لا نختلف !، وإنما يدعوا هذا لنفسه !! ويدعوا هذا لنفسه !! فيحجب هذا بنفسه ! ويحجب هذا بنفسه ! ويحجبان عن الوصول إلى الله ﷻ .

وكان المشايخ يقولون لمريديهم الأوداء الأجلاء كما يقول سيدى أبوالحسن الشاذلى لتلميذه أبوالعباس المرسى ﷺ : { ما صحبتك إلا لتكون أنت أنا وأنا أنت } ، أى نحن الإثنان شيءٌ واحدٌ، ولا توجد غيرية .

ولذلك كان شيخنا أبوالحسن الشاذلى عندما يأمر أحد مريديه أن يتحدث ويروى عن ما قرأه عن السلف يقول له: { حدثونا بما فتح الله عليكم ولا تحدثونا عن غيركم ، او لا تحدثونا عن الأموات }.

فعندما تُحدّث عن غيرك فليس هذا بحديث أهل الفتح، فأهل الفتح يجاهد الرجل منهم نَفَسه مع شيخه، ويكون مع شيخه على نفسه ! حتى يفتح الله له عين إلهام فى قلبه يتلقى بها من ربه ﷻ، ويعرض ما فتح به عليه من علوم الإلهام على شيخه !، ولا يُفتح عليه وفى صدره شىء من علوم الدراسة ! (أى من اعتماده عليها ورؤيته لها أمام عينيه) فلا بد أن يمحو كل ما حصّله من علوم الدراسة .. لينال علوم الوراثة ...، فهذا هو شأن الصالحين أجمعين فى كل وقت وحين .

نماذج من الأذن بالدعوة ومتى يكون ؟

سيدى أبوالحسن الشاذلى ﷺ : عندما ذهب إلى شيخه ابن مشيش ﷺ وأمره شيخه أن انزل واغتسل !، فنزل واغتسل ثم صعد !، فقال له: انزل واغتسل ثانية !، وكرر معه ذلك ! !، قال: فعلمت أنه يريد أن أغتسل من العلوم التى حصلتها وليس الغسل الظاهر، فغسلت نفسى من

العلم الكسبي ليمنحني العلم الوهبي، فأول ما صعدت إليه بعدها قال: { يا على جئتنا فقيراً من علمك وحالك فجئنا لك بغنى الدنيا والآخرة }.

فمبدأ العارفين الذي يؤسسون عليه حياة المريدين ألا يلتفت عن الله إلى أي شيء في الدنيا أو الآخرة أو الفتوحات، ولا المكاشفات والمؤانسات والمواجهات! لا يلتفت عن الله طرفة عين حتى يصل إلى مناه، ومناه هو القرب من مولاه، وهذا القرب يجب أن يكون بالحالة التي كان عليها الصالحون من عباد الله، بعد هذا يوجهه مولاه ويأذن له بدعوة الناس إليه سبحانه.

وفي قصة أبي الحسن، أذن له شيخه: يا على انزل إهد الناس إلينا، قال: يا سيدى تتركنى إلى الناس هذا يطعمني وهذا لا يطعمني، قال: يا على أنفق وأنا الملى إن شئت من الجيب وإن شئت من الغيب، **فنزل بأمر الله لتبليغ دعوة الله، جاءه الحبيب وقال:** يا على إذهب إلى مصر فإنك ستربى بها أربعين صديقاً وسمَّاهم، قال: يا سيدى الطريق طويل! والجو حار!، قال: إذا أقمناك أعناك، **قال: فمشيت من تونس إلى الإسكندرية والسحاب يظللنى، وكلما نفد الماء أنزل السحاب غيثه فنملأ أسقيتنا ونرتوى بالماء حتى وصلنا الإسكندرية، وهذا لأنه مأذون بالدعوة من شيخه . . ومعان على أعبائها .**

وكذلك الإمام الجنيد ﷺ :

قال له شيخه السري السقطي: { يا جنيد حدث إخوانك بما فتح الله عليك لينتفعوا بك }، قال: فقلت في نفسي حتى يأتي الإذن من رسول الله ﷺ، وفي نفس الليلة إذا برسول الله يأتيه مناماً ويقول له: { يا جنيد حدث الناس بما فتح الله عليك}، قال: فقمت من نومي قبل الفجر بساعة فذهبت إلى شيخي ودققت عليه الباب — في زعمي — لأعرفه، فإذا به يخاطبني من وراء الباب: يا جنيد أما تريد أن تتحدث حتى يأتيك رسول الله، نحن الذين أرسلناه إليك ! ! !

فذهب إلى المسجد ليصلي الظهر، فوجده غاصاً بأهله وبعد الصلاة إذا بهم يقدمونه إلى الكرسي ويقولون: يا جنيد حدثنا بما فتح الله عليك — فانظر إلى الإعانة هنا، ما الذي ملأ المسجد وجعلهم يحضرون له الكرسي ؟ ! وإذا برجل في زي أعرابي يقول لي: يا جنيد ما معنى قوله ﷺ: اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ؟ . . فنظر إلى الأرض وأطال ثم رفع بصره وقال: معناه أنه قد آن أوان إسلامك يا نصراني — ولم يكن النصارى يلبسون زي العرب حتى يكونوا معروفين — قال: صدقت يا تاج العارفين، لقد امتحنت قبلك سبعين رجلاً من العارفين بهذه الطريقة فما نجح منهم أحد .

لماذا ؟ .. لأن هذا لم ينطق إلا فى مقام:

﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ ﴾ (٤٦ الأحزاب) فكان كما قال الله : ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾ (١٢٢ الأنعام).

وأيضاً سيدى عبدالقادر الجيلانى ﷺ:

جاءه الرسول ﷺ مناماً وأذن له : ﴿ يا عبدالقادر حدّث الناس لينتفعوا بعلمك ﴾ ، قال: ﴿ فقلت يا سيدي أنا رجل أعجمى ولا أجيد العربية ﴾ ، قال: ﴿ افتح فاك فتفل فيه سبعاً ﴾ .

وفى صباح اليوم التالى ذهب إلى صلاة الظهر فوجد المسجد غاصاً بأهله، وإذا بهم يأتون له بالكرسى بعد الصلاة ويقولون له: { حدثنا بما فتح الله عليك، قال: فارتج علىَّ لما رأيت الجمع، وإذا بى أرى الإمام علىَّ أمامى ويقول لى: يا بنى حدِّث الناس بما فتح الله عليك–يقظة – قلت: يا سيدى أنا رجل أعجمى ولا أتقن العربية، قال: افتح فاك فتفل فيه ستاً، قلت: يا سيدى لِمَ لم تكمل سبعاً؟ قال: تأدباً مع رسول الله ﷺ }

ففتح الله عليه، وإذا بكلامه يصل إلى كل القرى المحيطة ببغداد من حوالى سبعة كيلومترات، فكانوا يسمعون كلامه وهم فى بيوتهم: ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ (٤٦ الأحزاب)

السيد أحمد البدوى ﷺ

وعلى هذا المنوال كان أيضاً سيدى أحمد البدوى ﷺ، فقد كان يتعبد فى غار حراء، وإذا بالحبيب يأتيه ويقول له: { يا أحمد إذهب إلى طنطدا فى مصر فإن لك بها حالاً وستربى بها رجالاً عبـــدالعال وعبدالرحمن وعبدالمجيد وسماهم له }

وكان ﷺ مع إقامته فى غار حراء لا يترك فريضة فى بيت الله فى جماعة، وهذه هى إعانة الله، فذهب إلى بيت الله الحرام وإذا برجل يأتى له ويقول: يا سيدى هل لك أن تأتى لزيارتنا والإقامة عندنا ونحظى بك؟ قال: من أنت؟ قال: أنا فلان شيخ البلد فى بلدة تسمى طنطدا فى مصر، وأنا أدعوك لزيارتى والإقامة عندى فى بيتى، فعلم أن هذا من باب الإعانة.

فجاء معه إلى طنطدا، وكان ﷺ مثلاً أعلى فى الأدب، دخل به الشيخ فى بيته، فقال له: هل لك إلى أن تجعل لى سلماً خارج البيت وأنا سأسكن على السطح فإذا أتى إلىَّ روادى لا يدخلون ولا يخرجون من بيتك فلا يؤذون أهل بيتك، فسكن السطح!، ولذلك سموه السطوحى!

أدب غالى وعالى للعارفين، وإذا دققت فى كل أحوال العارفين تجدهم على هذه الشاكلة رضى الله عنهم أجمعين.

مقام الكتابة عند العارفين

أما الكتابة فإن العارفين فهم لا يكتبون إلا لأمور، إما فيض إلهام يكثر فتضيق به الصدور: ﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى ﴾ (١٣ الشعراء) فيروحون عن أنفسهم بهذا الإلهام فيكتبونه، أو لقصد هداية.

الإمام محى الدين بن العربى:

كما روح عن نفسه الشيخ محى الدين بن العربي ﷺ عندما كان مجاوراً لبيت الله الحرام، وكان يسجل هذا الإلهام كتابة وسماه الفتوحات المكية، وحتى يعلم أنه إلهام صحيح من الله وليس فيه حديث نفس أو وسوسة شيطان بعد أن انتهى من كتابه وضع الأوراق وهى مكتوبة بالحبر على سطح الكعبة لمدة أربعة أعوام، وبعد الأربعة أعوام وجدها كهيئتها لم يمحو المطر حبرها ولم يطير الهواء ورقها بل وجد الأوراق كحالها، فعلم أنه إلهام فجمعه وأذن به للمريدين.

الحكيم الترمذى

وكذلك الشيخ محمد بن على الترمذى الحكيم ﷺ، وكان يتيماً فى حجر أمه وليس له عائل، فأراد أن يخرج لتلقى العلم من بلدته ترمذ، فقالت له

أمه: لمن تخرج وتتركنا ههنا وأنا ليس لى غيرك؟ فآثر رضاها ! !

ولما خرج رفاقه الذين واعدهم على الخروج معهم إلى بغداد لطلب العلم حزن، ومن شدة حزنه ذهب إلى المقابر لعله يروح عن نفسه، وإذا به يجد شيخاً قال له: يا محمد تعال وأنا أعلمك العلم، فعلمه العلم وقال له: ائتنى فى كل يوم فى هذا المكان وفى هذا الموعد وأنا أعلمك، فمكث معه ثلاث سنوات، وبعد أن انتهى قال له: أتدرى من أنا؟ قال: لا!، قال له: أنا الخضر وقد جئت لتعليمك لبرك بأمك.

ألهمه الله، وكان أول من تحدث فى علوم الولاية وكتب ما ألهمه به مولاه واستودعه فى كتب، وحدثت فتنة فى زمانه واتهمه حاكم البلدة والحاقدون والحاسدون بالخروج عن النص وأرادوا أن يقبضوا على كتبه ليحرقوها، فذهب إلى شاطئ البحر بعد أن أودع كتبه فى صندوق ورماها فى البحر، وعندما رماها إذا بسمكة عظيمة تخرج من البحر وتلتهم الصندوق، ومكث فى بطنها ثلاثمائة عام، ثم قذف الصندوق بعد موته بثلاثمائة عام وفيه العلوم التى سجلها إلهاماً من الملك العلام ﷻ.

الإمام أبو العزائم ﷺ

وفى زماننا هذا كان الإمام أبوالعزائم ﷺ عندما دخل الحرم المقدس

حرم المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، وكان يغلق بعد العشاء، فلم يره الخدم، وأغلقوا الأبواب، وهو بداخل الحرم النبوى الشريف فكانت خلوة عظيمة قال فيها:

حبيبى قد شرح صدرى وآنسنى إلى الفجر
ورقانى إلى أعلى مقام القرب والسير
ونادانى الإمام هيا أتاك الوصل بالبشر
فقم للديريا ماضى فإنى قد صدر أمرى
تمل بى وشاهدنى ومل عندى عن الغير
وأنبأ من يرد قربى بحسنى حيث لا يدرى

فكان يحدث الخلق إذا ألهمه الحق، وكان أحياناً يأتيه الإلهام ولا يوجد حوله كاتبون فكان يقول لأى رجل ممن حوله اكتب، فيقول: لا أستطيع الكتابة، فيقول: اكتب، فيمسك القلم فيكتب - فالإقامة إذا كانت من الله ورسوله كانت فيها إعانة.

وكان بعض الكاتبين ينامون تحت سريره، حتى إذا جاءه الإلهام ليلاً كتبوا، وكيف يكتبون؟ كانوا يكتبون على ضوءه، فكان إذا أتاه الإلهام قاموا

وسجلوا ما سمعوه وهم تحت سريره، فقال ﷺ مرة لهم:

أنا لو أغني في الخفا لتكلمت أحجار هذا البيت عن كلماتي

أي لا بد أن تبلغ لأن هذا إلهام من الله ﷻ.

هؤلاء الكرام كانوا يمنعون المريدين من الكتابة أو الكلام حتى يصلوا إلى هذا المقام وحتى لا يحرموا من هذا الإنعام.

أبوسعيد الميهني ﷺ

فهذا الشيخ أبوسعيد الميهني ﷺ، فهو أشهر من أجرى الله على يديه كرامات في بلاد فارس، قال ﷺ: { في بداية تصوفي عندما فتح الله عليَّ كانت لديَّ كتب كثيرة قرأتها جميعاً، ولكنني لم أحصل على ما كنت أصبو إليه، فدعوت الله قائلاً: يا إلهي إن الأمر لم ينكشف لي بقراءة الكتب، وما أزال عاجزاً عن الوصول إليك، فاجعلني اللهم مستغنياً بشئ أجدك فيه}، فتفضل الله عليَّ وقرأت تفسير الحقائق وهو من أقدم التفاسير الإشارية للقرآن الكريم ويسمى (حقائق التفسير) لأبي عبد الرحمن السلمي، وأخذت أقرأ القرآن حتى وصلت إلى قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ (٩١ الأنعام)

وهنا وضعت الكتاب، وكلما حاولت التقدم في القراءة لم أستطع —

وقام الشيخ بدفن كتبه فى التراب — وكان يقول: { نِعْمَ الدليل أنت والإشتغال بالدليل بعد الوصول محال } .

الإمام أبو حامد الغزالى ﷺ

والإمام الغزالى ﷺ كان يحدّث، وكان يحضر حديثه أي مجلسه ما يزيد عن العشرة آلاف نفس، منهم ما لا يقل عن مائة من العلماء الأجلاء، وما لا يقل عن السبعين من الوجهاء والأمراء، حتى أتاه الحال وسلك طريق الصوفية، قال ﷺ مثبتاً طريقته فى كتابه (المنقذ من الضلال) أي أنه وصف كل ما كان فيه قبل الفتح بأنه ضلال، قياساً بالذى فتحه عليه الواحد المتعال ﷻ، قال: { ابتدأت بتحصيل علم الصوفية من مطالعة كتبهم فظهر لى أن أخصَّ خواصهم ما لا يمكن الوصول إليه بالتعلم، بل بالذوق! والحال! وتبدل الصفات!! }.

الإمام الشعرانى ﷺ

والإمام الشعرانى ﷺ، وكان شيخ الأزهر فى زمانه، وتتلمذ على يد الشيخ الخواص وكان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، وعندما أراد أن يسلك الطريق على يديه قال: { يا عبد الوهاب، قال: نعم، قال: تريد الفتح؟، قال: نعم، قال: إن أردت الفتح من الله فبع كتبك كلها

وتصدق بثمنها على الفقراء والمساكين والْزَمْنا}، فباع كتبه كلها وتصدق بثمنها ولزم شيخه حتى فتح الله ﷻ عليه ! !

قال: { ثم فتح الله ﷻ عليَّ بشئ من العلوم فعرضتها على شيخى، قال: هذا حديث نفس فاحرقها حتى يأتيك الإلهام الصادق من الله ﷻ}، قال: { فجاءنى خواطر أخرى فعرضتها على شيخى، قال: إن فيها فكر فاحرقها حتى يأتيك الإلهام الصادق من الله }، ولم يسمح له بالتسجيل إلا بعد أن تولاه السيد الأستاذ النبيل ﷺ، وكان هو الذى يسقيه ويناوله ما يصلح لمريديه.

الشيخ محمد على سلامة ﷺ

وكما فعل إمامنا الشيخ محمد على سلامة فى أول ما كتب فى الطريق، فكان أول ما كتب شرح فقرة بسيطة من كلام الإمام أبى العزائم ﷺ يتحدث فيها عن نفسه، وجعل عنوان الكتاب (الإمام أبو العزائم كما قدم نفسه للمسلمين).

ثم شرح فقرة أخرى للإمام أبى العزائم اسمها الوصول، وسمى الكتاب (أنوار التحقيق فى وصول أهل الطريق)، وكان بعد ذلك الفيض المديد والبحر البعيد من فضل الحميد المجيد . . .

أسرار كتابة العارفين

فكتابة العارفين إذا كتبوا إما لفيض وَجْدٌ كالشيخ محى الدين بن العربى أو الشيخ الشعراوى أو غيره، يفيض الوَجْدُ عنه فيخفف عن نفسه ويروح عن نفسه بالتسجيل، يقول ابن عطاء الله السكندرى فى كتابه (الحِكَمْ) مشيراً إلى كلام الصوفية:

{عبارتهم إما لفيضان وجد أو لقصد هداية مريد، والأول حال السالكين والثانى حال أرباب التمكين والمحققين }.

فقلوب أهل الله بها من الأسرار ما لا تطيقه عقول عامة الناس، وهم أمناء على هذه الأسرار، لا يُطلعون عليها إلا من رأوه أهلاً لها، إلا من كان منهم مغلوباً ولم يتمكن من حاله، فإذا غلب عليه الوجد فاض ولم يشعر، وإذا عاد إلى نفسه ندم واستغفر.

أما أهل التمكين فإنهم لا يتكلمون إلا لهداية مريد ! وتربية سالك! وترقية سائر!، أما لغير هؤلاء فلا . . . ، فإن عَبَّر السالك دون غلبة؟ كان فى ذلك نوع من الدعوى !!، وإن عَبَّر العارف من غير قصد هداية .؟ كان ذلك إفشاءاً لأسرار الربوبية ....

وهناك أسباب أخرى للتأليف الصوفى مثل التحدث بنعمة الله تعالى على العارف، فيذكرها فى كتاب اعترافاً بفضل الله عليه، أو تصنيف الكتب لاختلاف أحوال الزمان وظروف السالكين، أو اختصار بعض كتب التراث الضخمة، أو جمع أقوال العارفين فى موضوع واحد .

ومنهم من يكتبون عن أمر صريح فى توجيه المريدين إلى الطريق السديد لتزكية النفس!، وتصفية القلب!

وهذه كلها ليست من الكتب، وإنما تحتاج إلى الأطباء الذين عينهم سيد الرسل والأنبياء والذين يقول فيهم الله: ﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ (١٠٨ يوسف)..

وذلك.. لأن ما يصلح لمريد قد لا يصلح لمريد آخر، وما يصلح للمريد فى طور من أطوار تربيته قد لا يصلح له فى طور آخر فى أطوار تربيته !، فلا بد له من تباين الدواء فى أحوال تطوره فى الرقى إلى العلياء فى محاولته للوصول إلى معية سيد الرسل والأنبياء ﷺ .

ومنهم من يكتب فى طبقات الصالحين، وهى من أجل أن يقرب هؤلاء القوم إلى المريدين ويحببهم فى طريق رب العالمين، ويتحرى الحكايات الصحيحة التى تقبلها العقول ولا تردها النقول .

وقد قال الإمام الجنيد ﷺ:

{ حكايات الصالحين جند من جند الله تثبت المريدين على طريق الله وتقرب إليهم الوصول إليه }

قيل له: هل لك من سند فى ذلك ؟ قال: نعم، قول الله:

﴿ وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ (٢٠ هود).

ومنهم من يشرحون بأمر من الله ورسوله بعض أقوال العارفين التى تعجز عقول المريدين عن فهمها وحل ألغازها.

كمن يكتبون فى شرح حكم ابن عطاء الله السكندرى ﷺ وأرضاه
ومنهم من يجيب على أسئلة العارفين التى لا يستطيع أحد أن يجيب عنها بفكره أو بعقله لأنها علوم عالية وأسرار راقية.

كالأسرار فى العلوم التى وضعها الإمام الترمذى ﷺ فى معرفة ختم الأولياء، فقد وضع مائة وسبعة وخمسين سؤالاً وقال: { من أجاب عنها فهو ختم العارفين}، **أجابها الشيخ محى الدين بن العربى مرتين، مرة فى كتاب سماه** { اقتفاء الصراط المستقيم فى جواب أسئلة الحكيم الترمذى } **ومرة أخرى أجاب عنها فى كتابه** { الفتوحات المكية }

وأجابها إجابة مبسطة وسهلة وسلسة وشجية إمامنا الشيخ محمد على سلامة مع انها أسئلة كشفية لا يستطيع أن يحيط بها أو يجيب عنها إلا من وصل إلى علم المكاشفة، فى كتابه { الجواب الشافى على أسئلة الحكيم البترمذى فى كتابه ختم الأولياء}

ومنهم من يحاول أن يبسط علوم القوم فى ثـــوب مبـــسط ليستطيع أن يتذوقه ويتحقق به المريـــدون فى زمانـــه لعجزهم عن الوصول إلى هذا الفهم، لأن هذا الكلام مراميه عالية وأسراره راقية وغالية.

{ وهذا ما يحاول العبيد الفقير أن يصنعه:

على قدرى أحاول أن أبسط علوم الصالحين لإخواننا ليفقهوها، لكن لم أصل بعد إلى الحديث عن فتح عن علوم الصالحين، حسبى أنى أحاول أن أُيَسِّر علوم الصالحين بأسلوب مبسط! فى هذا العصر الذى امتلأ بعلوم العقلاء، وعلوم المفكرين، وعلوم النفوس، وعلوم المتبجحين، وعلوم الناقدين، وعلوم المعارضين !!.والمشككين !!

فنحاول أن نبين أسرار الصوفية بطريقة سهلة، وندلل

---

[٤٥] الكتاب مطبوع ويطلب من جدار أيمان والحياة ، القاهرة، ت: ٢٥٢٥٢١٤٠

عليها بأدلة قرآنية، وأحاديث نبوية، وأقوال قريبة من علوم النقول! حتى نضع أيدى إخواننا شيئاً يعتمدون عليه إذا واجهوا ظلوماً أو جهول }

ومنهم من يحاول أن يستكنه غيب كتاب الله، فيشرح فيه ما أفاء عليه به مولاه

فهذه هى تفسيرات الصوفية المطلوبة فى كل زمان ومكان .

ولكنا نضيف ونقول أن التفسيرات الصوفية لا بد أن تكون إلهامية كما قال فيها الشيخ أبويزيد البسطامى ﷺ عندما كان يحدث بعض العلماء المشهورين فى زمانه وقد ذهب إليه وقال: { يا أبا يزيد تدَّعى أن معك علماً ليس عندنا، هل لك عليه من دليل؟ قال: نعم، قال الحبيب ﷺ: { العِلْمُ علمانِ فعِلْمٌ في القلبِ فذلِكَ العلمُ النافِعُ، وعِلْمٌ على اللسانِ فذلِكَ حُجَّةُ اللَّهِ على ابنِ آدَمَ }، [٤٦] ، وإليه الإشارة بحديث أبى هريرة ﷺ:{ حفِظْت من رَسُول الله ﷺ ما لو بَثَثْتُه فيكم لَقُطِع هذا البُلْعُوم}[٤٧]، وإليه الإشارة بقول الله: ﴿ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ (٢٨٢ البقرة)قال: { يا أبا يزيد عِلْمُنا هذا محفوظ فلان عن

---

٤٦ سنن الدرامى عن الحَسَن

٤٧ النهاية في غريب الحديث لابن الجزرى المحدث، عن أبى هريرة ﷺ

فلان}، قال: { أخذتم علمكم ميتاً عن ميت، وأخذنا عن الحى الذى لا يموت، فنأخذه من الله فى أى وقت شئنا وكيف شئنا.}

فعلوم الوراثة غير علوم الدراسة . . .

وهى العلوم التى يقول فيها الإمام ابن عباس رضى الله عنهما عن ترجمان العلوم وبحر الفهوم وباب مدينة العلم الإمام علىّ عندما يقول:

{ لو فسرت فاتحة الكتاب بما أعرف لوقرتم سبعين بعيراً }

فيقول ﷺ : { هؤلاء القوم يكتبون عند ذلك }.

صدور الرجال

بل كان بعضهم لا يلجأ إلى ذلك (إى إلى الكتابة) لعدم حاجة العصر إلى ذلك، فالإمام أبوالحسن الشاذلى ﷺ مع تمكنه فى علوم المعرفة وإحاطته بعلوم القوم عندما سُئل:

{ لِمَ لم تجعل لنفسك كتاباً؟ قال: كتبى صدور أصحابى }.

وضَعْ أصلاً أصيلاً فى كتب الصالحين ! !

أى اجعل لك أولاً كتباً تربيها ويكونون ظاهرين فى هذه الحياة بهذه

العلوم: . . اجعل لك كتاباً رجلاً يعلمه الله على يديك غرائب الحكمة ! !
فيكون هو الناطق بالحكمة فيكون كتاب حكمتك . . . ! !

واجعل لك رجلاً تعلمه علوم المكاشفة فينطق بين الناس بما يريدونه في كل وقت من علوم المكاشفة ..!!، لأن علوم المكاشفة في المواجهات فيكون هذا رجلك ! ! .

واجعل لنفسك رجلاً تعلمه كيف يُسقى الأبرار ليطهروا قلوبهم من الغفلات ومن الجهالات ويتلقون من سيد المقربين والأبرار، فيكون هذا الرجل هو الطهور المدار على قلوب الأبرار ! !

فإذا صار لك هؤلاء الرجال !

تستطيع أن تصنع !أو تخط منهم كتباً في هذا المجال !، فيكون كل كتاب . . له كتاب مخطوط !وله كتاب ناطق متحرك غير ساكن ينطق عن الصدور ! ويبلغ الناس أسرار حضرة الدهور !

وهكذا حال الصوفية في مؤلفاتهم ! !

لا يدونون إلا الجديد الذي أفاضه الله تعالى على قلوبهم، وإن وجد أحدهم من قام بذلك غيره كف عن التأليف .

ويمكن تقسيم مؤلفات الصوفية بالتقريب على الأقسام التالية:

١- مؤلفات تشرح للسالك طريقة السلوك.

٢- مؤلفات تدل السالك على المجاهدات والخلوات وعقبات السلوك ورياضة النفس ومداخل الشيطان.

٣- مؤلفات تختص بالمكاشفات والمنازلات والفتوحات وذكر أحوال الأقطاب، وختم المقامات، وتجليات الأسماء الإلهية.

٤- كتب الطبقات، وتحتوى على ترجمات وكلام العارفين بالله.

٥- تلخيص واختصار لبعض الكتب.

٦- كتب تشرح كلام العارفين.

٧- كتب التفسير الإشارى للقرآن الكريم.

٨- دواوين الشعر.

وعلى القارئ، والدارس، والمحقق، والمؤلف لعلوم التصوف أن يجعل هذه القاعدة أساس بنائه:

فلا يقرأ الإنسان إلا ما يقربه من الله تعالى، وعلى الدارس أن يعتنى بدراسة ما يعود عليه وعلى القارئ بفائدة ترضى الله، ولا يدور فى متاهات

وغياهب لا تعود بثمرة طيبة ! !، والعمر قصير ! والوقت ثمين ! والأنفاس معدودة ! والخطوات محدودة ! والكتابة لغير وجه الله مردودة ! ! ! .

أما عن التأليف الصوفي، فإن كان هناك كتاب يحتوى على ما يريد أن يصنفه المؤلف ! فلا داعى للتأليف !، وعليه أن يدل القارئ على هذا الكتاب ! وله أجره وثوابه إن كان يريد وجه الله خالصاً، وفى هذا توفير للوقت والمال والتركيز فيما ينفع ! !

وليس التأليف فى التصوف والخوض فيه بالأمر الهين، ومن أراد أن يحقق ذاته النرجسية ! ويشعر بنفسه ! فليدخل أبواب التأليف فى المجالات الأخرى، فالمقهور تحت عبادة نفسه، بينه وبين معرفة التصوف ألف حجاب، فالتصوف يدور على إنكار الذات لا إثباتها وتضخيمها والنفخ فيها.

وإذا وجد المريد رغبة فى مطالعة الكتب فليعمل بنصائح العارفين فى هذا الشأن، ونذكر له قول الإمام السهروردى فى كتاب (عوارف المعارف) ليعمل به، حيث يقول:

{ من الأدب فى المطالعة أن العبد إذا أراد أن يطالع شيئاً من الحديث والعلم يعلم أنه قد تكون المطالعة بداعية النفس وقلة صبرها على الذكر والتلاوة والعمل، فتروح بالمطالعة كما تتروح

بمجالسة الناس، فليتفقد المريد نفسه ولا يستحلى مطالعة الكتب، وعليه بالتثبيت والإنابة والرجوع إلى الله تعالى، فإنه قد يُرزق بالمطالعة ما يكون من مزيد حاله }.

وهكذا يتضح لنا من كل ما سبق:

أن الصوفية لا يتصدرون للدعوة ولا للكتابة إلا عن إذن صريح، وأن الوصول إلى المعرفة الصوفية – وهو ما يهمهم – وكذا السلوك الحقيقي وكل ما يعنيهم لا يمكن تحصيله من مطالعة الكتب فقط!!

بل بالمجاهدات تحت تربية شيخ عارف!!

وإذا عكف السالك على مطالعة الكتب دون صحبة الشيخ فلن يصل إلى شئ !!!!!!!! ...

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الفصل السادس

الإمامة أو دعوة الخلق إلى الله عز وجل

بسم الله الرحمن الرحيم

إخوانى وأحبابى بارك الله عز وجل فيكم أجمعين:

كل عام وأنتم بخير حيث نعيش هذه الأيام فى ذكرى إمام الأنبياء وأبوهم خليل الله إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام، وليكن حظنا اليوم من هذا الأب الجليل أن نأخذ درساً من سيرته وقبساً من هديه فى الدعوة إلى الله عز وجل استكمالا لمحاضراتنا عن الدعوة إلى الله على بصيرة، فهؤلاء الذين يقول فيهم الله (٩٠ الأنعام):

﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾

لم يقل الله بهم اقتده لأنه لا يقتدى به فى كل أحوله إلا الحبيب الأول ﷺ، ولذلك قال لنا عزَّ وجل فى شأنه:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (٢١ الأحزاب)

فهو القدوة فى كل شئونه وفى كل أحواله .

سر إختيار الله للأئمة

الدرس الجليل فى هدى الخليل . . . ذكره لنا الرب العظيم ﷻ فى محكم التنزيل . . . :

أن أى إمام يريده الله ﷻ أن ينشر دعوة الله لخلق الله، وأى رجل يجتبيه الله ويصطفيه ويحبوه ويمنحه ويعطيه، ويأمره بتبليغ دعوته إلى خلق الله حوله لابد أن يمر بهذه الأطوار التى ذكرها لنا العزيز الغفار ﷻ، حتى يجعله الله إماماً، قال فى شأنه:

﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ بعد أن ابتلاه الله بالكلمات وأتمهن: ﴿ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ (١٢٤ البقرة).

فالإجتباء والإصطفاء لا يكون إلا بعد الإختبار والإبتلاء، قال ﷺ:

{ إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدا ابْتَلاَهُ ، فَإِنْ صَبَرَ اجْتَبَاهُ، وَإِنْ رَضِيَ اصْطَفَاهُ }[٤٨]

على قدر مقامه فى قبوله لإبتلاء الله يكون مقامه فى القرب من حضرة

[٤٨] فى الأثر المرفوع فى(منازل السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين)، وفى لباب الحديث بزيادة (بِبَلاَءٍ لاَ دَوَاءَ لَهُ)، وفى تفسير حقى وتفسير تنوير الأذهان لإسماعيل البروسوى.

الله، فإذا تحلى بحلل الصابرين فله الإجتباء:

﴿ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ ﴾ (٧٨ الحج)

وإذا تحلى بحلل الرضا، والرضا أعلى من الصبر! لأن الصابر قد يصبر على مضض لكن الراضي ليس في قلبه لا مضضٌ ولا مرض !! . . فيرضى عن الله في كل أفعاله . . . ويرضى عن الله في كل أحواله . . .، فهذا له مقام الإصطفاء (٧٥ الحج).:

﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾

هذه السنة الإلهية جعلها الله مع المرسلين والنبيين وجعلها أيضاً مع الصالحين إلى يوم الدين فقال في شأنهم:

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (السجدة)

صبروا على ماذا؟

صبروا على البلاء الذي يطهر الله ﷻ به القلوب.

وكلمة البلاء أول ما نسمعها يأتي لنا في أذهاننا المفهوم العام عنها أي الإمتحان أو الإختبار وهذا بيننا معشر البشر !!، لكننا لا يجب أن نقيس

كلام الله على كلام البشر، إذ أن كلام الله له فحواه ومغزاه ومعناه الذى لا يعقله ولا يعلمه إلا من علمه الله، فإذا سمعت قول الله مثلاً:

﴿ وَيَمْكُرُون ﴾ فهذا مكر البشر !، ﴿ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ﴾ .. إياك أن تجعل مكر الله كمكر البشر، قياس الغائب بالشاهد قياس فاسد لا ينبغى مع حضرة الربوبية، لكن مكر الله هنا أى تدبير الله أى التدبير الإلهى، لكنه لأنه يخاطب البشر ! فخاطبهم على شاكلتهم، لكن ليس معنى ذلك أن الله ﷻ له مكر كمكر البشر، دهاء وحيل وكيد فهذا لا يليق بحضرة الربوبية.

فإذا سمعت: ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ ﴾ أول ما ينصرف الذهن أن البلاء هو الإنتقام أو الإختبار أو الإمتحان !!

لا !! .. فالبلاء بالنسبة للأنبياء تطهير القلب وصفاء السر والسريرة لمن بيده مقاليد السموات والارض، قال داوود عليه السلام:

{ الهي أمرتني أن أطهر قلبي فبماذا أطهر؟ قال: ياداود بالهموم والغموم } [49]

فلا يطهر القلب إلا الهموم !، لأن الذى يجمع حقائق الإنسان على الله هو الهمّ، فعندما ينتاب الإنسان همٌ أو غمٌ .. يتوجه بالكلية إلى الحضرة

[49] روح البيان، وتفسير حقى، وتنوير الأذهان لإسماعيل البروسوى.

الإلهية ! !، فإذا توجه بالكلية إلى الحضرة الإلهية ! ! فإن ذلك يجمع تجاويف القلب ! ويطهره من المشاغل والشواغل . . ويطهره مما نقول فيه معشر الصالحين من الأغيار وهى أى شيء غير الله ، فأى شيء غير الله فى قلب العبد لا يرضاه الله ! لأن الله يريد القلوب خالصة لحضرته . . ، والخلق لهم الأجساد . . ولهم النفوس . . ولهم الظاهر ! !

أما الباطن فلا يكون إلا لله ﷻ .

حكمة الابتلاء للأنبياء

إذاً الإبتلاء لتطهير القلوب، وصفاء السرائر حتى تستنير البصائر، وحتى يصير العبد وهو إلى ربه سائر . . يكون فيه قول مولاه:

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيَ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ (الأنعام).

أى أن هذه هى تربية الله لكل الموقنين، فالموقنون كثيرون ومن جملتهم أبونا إبراهيم عليه السلام، ولذلك ورد فى الأثر:

{ لا تخلو الأرض إلاّ وفيها أربعة عشر – وقيل أربعون على قدم

الخليل إبراهيم – يدفع الله بهم عن أهل الأرض ويخرج بركتها إلاّ زمان إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فإنه كان وحده }[50]

لا يخلو زمان من أربعين رجلاً أو أربعة عشرة على الأقل على قدم إبراهيم في خلته لله جل في علاه . . .

والكلمات قد تكون كلمات قَدَرية فإن الله ﷻ يخلق بكلمة:

﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢ ﴾ (يس) وكن فيكون ليس حرفين . . فما بين الكاف والنون يقضى الله شئون ويخفى شئون:

بين نَفَس ونَفَس شئون تتجلى لا تراها العيون

فهذا أيضاً تقريب للأذهان لأن الله ﷻ لا يتكلم بلسان وشفتين، وإنما الحق ﷻ له مقاليد السموات والأرض.

وقد تكون الكلمات أوامر ونواهى وتشريعات شرعها الله ﷻ على الأنبياء والمرسلين ! ! وأمرهم بالقيام بها ليتحقق لهم تمام الإصطفاء عند رب العالمين ﷻ.

---

[50] عن شهر بن حوشب، عمدة القاري

إبتلاء نبى الله إبراهيـم

ما خصَّ الله ﷻ به نبى الله إبراهيم خاض فيه المفسرون والمؤولون على قدرهم، وعلى قدر ما وصل إليه علمهم، واستندوا فى أقاويلهم إلى ما ورد إليهم من أصحاب النبى الأمين فى تأويل كلام رب العالمين ﷻ:

﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾ (٧آل عمران)

يُعلِّمهم الله فيقولون عن تأويل من الله جل فى علاه، فاستند كل المفسرين إلى ما ورد عن سيدنا عبدالله بن عباس رضى الله عنهما أن الكلمات التى ابتلى الله ﷻ بها إبراهيم هى خصال الفطرة التى أمره الله بها ليطهر ذاته وكانت فريضة عليه وسنة عندنا:

{فهى خمس فى الرأس وخمس فى جميع البدن، أما التى فى الرأس فالمضمضة والإستنشاق وفرق الرأس وحف الشارب والسواك، وأما التى فى بقية البدن فالختان والإستنجاء من البول والغائط وحلق العانة وتقليم الأظافر ونتف الإبط} [٥١]

هذا قول عن سيدنا عبدالله بن عباس ولا بأس به، وهذه سنن سنها

---

[٥١] وردت خصال الفطرة فى أحاديث عدة منها حديث عائشة الذى أخرجه مسلم فى كتاب الطهارة ويجمع العشر خصال.

لنا رسول الله ﷺ وأمرنا بها والأمر فيها عام لجميع الأنام.

وسيدنا عبد الله بن عباس نفسه جلس مع قوم أعلى فى الفهم وأرقى فى الذوق فذكر لهم حقيقة أخرى فى هذه الكلمات وقال لهم:

{ الإسلام ثلاثون سهماً وما ابتلي بهذا الدين أحد فأقامه إلا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، قال الله تعالى: {وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى}، فكتب الله له براءة من النار } [٥٢]

وتفصيلها عشرٌ فى سورة التوبة فى قوله تعالى (آية ١١٢):

﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾

وعشر فى أول سورة المؤمنون (آية ١-١١):

﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ

[٥٢] عن عكرمة ، عن ابن عباس رضي الله عنهما فى المستدرك على الصحيحين

ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾

وعشر فى سورة الأحزاب (آية ٣٥):

﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾

هؤلاء الثلاثون هم أسهم الإسلام وشرائع الإسلام.

ولابد للإنسان ليكون إماماً عند الله أن يتحقق بهؤلاء الثلاثين أى يقوم بالعمل بهن كما ينبغى، من يستطيع ذلك؟

وقال بعض الصالحين إن هذه الكلمات أوحى الله لإبراهيم فيها:

{ أنك لما سلمت مالك للضيفان. وولدك للقربان. ونفسك

للنيران، وقلبك للرحمن. اتخذناك خليلاً } [٥٣]

أي أن الله ابتلاه:

في جسده بالنار بأن ألقي في نار عظيمة، وابتلاه في ماله بالضيفان فكان كلما يأتيه ضيف يأتي بعجل حنيذ، وابتلاه في ولده بأن أمره بذبحه:

﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ ﴾ (١٠٢ الصافات)، وابتلاه في قلبه ألا يكون فيه موضع لغيره ﷻ ففاز بالمقام حتى قال فيه الله مهنأه بهذا المقام: ﴿ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ ﴾ (النجم) . . . أي وفّى بذلك.

الإمامة والإقتداء

وقال البعض وأنا أميل إلى ذلك:

﴿ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ ﴾ (١٢٤ البقرة)

---

[٥٣] رواه أبو الحسن المسعودي في كتاب أخبار الزمان، وقد نقلناه من كتاب "سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر"، و أيضاً في "خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر".

الإمامة نفسها هى الإبتلاء ! !

هل هناك إبتلاء أو بلاء أكثر من إمامة الخلق ؟ !

ولا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من جرى فيها

فالإمامة هى البلاء الأعظم.

لأن من أقامه الله هذا المقام لا يستطيع أن يتحرك حركة كبيرة أو صغيرة فى نفسه أو فى ماله أو فى أى شىء له أو حوله إلا بإذن ممن يقول للشىء كن فيكون، لا يستطيع أن يعتذر عن أمر كلفه به الله ﷻ:

﴿ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ (٣٦ المرسلات).

ولا يستطيع أن يتكاسل أو يتباطئ أو يتوانى لأنه قدوة والخلق يقتدون به فلابد أن يكون أكملهم وأعظمهم وأقومهم فى القيام بأمر الله جل وعلا .

كان رسول الله ﷺ وهو إمام الأئمة وقد غفر الله وقال له: ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ (٢ الفتح)

ومع ذلك كان يصوم صيام الوصال وكان يقوم الليل كله على قدم واحدة يتذلل ويتضرع لحضرة الله وتقول له زوجته الطاهرة الوفية السيدة عائشة: يا رسول الله ألم يغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فيقول ﷺ:

{ يا عائِشَةُ أَفلا أَكُونُ عَبْداً شَكُوراً } ٥٤

وكان لا يقوم إلا على ذكر ولا يدخل إلا على ذكر ولا يجلس إلا على ذكر وإذا نام تنام عيناه وقلبه لا ينام ويأبى إلا أن يشارك إخوانه فى أى عمل، فإذا أمرهم ببناء المسجد كان يقوم بنفسه بحمل الطوب معهم، فيقولون: . . . يا رسول الله إنا نكفيك هذا العمل، فيرفض، فيقولون:

لئن قعدنا والنبى يعمل   لذاك منا العمل المضلل [55]

كيف يتقاعدون ويتكاسلون والرسول أمامهم يعمل؟! وإذا سافر يوزعون العمل فيختار الأشق:

{ وكان ﷺ في سفر فأمر بإصلاح شاةٍ فقال رجل يا رسول الله عليَّ ذبحها وقال آخر عليَّ سلخها وقال آخر عليَّ طبخها فقال رسول الله ﷺ«وعليّ جمع الحطب» فقالوا يا رسول الله نحن نكفيك فقال «قد علمتُ أنكم تكفونني ولكني أكره أن أتميّز عليكم فإن الله يكره من عبده أن يراه متميّزاً بين أصحابه» وقام فجمع الحطب، وكان في سفر

٥٤ صحيح مسلم ومسند الإمام أحمد
٥٥ فتح البارى فى شرح صحيح البخارى ، وطبقات الشافعية الكبرى

فنزل إلـى الصلاة ثمّ كرّ راجعاً فقـيل يا رسول اللـه أين تريد فقال «أعقل ناقتـي» فقالوا نـحن نعقلـها قال «لا يستعِنْ أحدكم بالناس ولو فـي قُضْمة من سواكٍ } [٥٦]

أرأيتم لمشقة الإمامة – حتّى فى أشق اللحظات عندما كان يعانى من سكرات الموت ربط رأسه بعصابة وقام مستنداً على العباس وعلىّ عندما سمع آذان الصلاة ، لماذا ؟ لأنه علمهم أنه:

{ لاَ خَيْرَ فِي دِينٍ لاَ رُكُوعَ فِيهِ } [٥٧] – أى صلاة

هذه هى الإمامة، ما معنى الإمامة؟ أن يكون هو أول الناس قياماً بأمر الله ليكون قدوة لمن خلفه يقتدون بفعاله قبل أقواله، ولذلك كان ﷺ يأمر باليسر وبالأخف ! ! ويأخذ نفسه بالأشد ! !

فكان أصحابه الحكماء الفقهاء العلماء الذين كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء يقتدون بهديه قبل أن يعملون بقوله لأنه يأمر باليسر ويأخذ نفسه بالأشد فكانوا يقتدون بفعاله، تلكم هى المسئولية، وكما سبق بالحديث:

{ كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته }

---

٥٦ الوافي بالوفيات، لصلاح الدين الصفدى.
٥٧ عن عثمان بن أبي العاص، المسند الجامع

﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ (١٢٤ البقرة)

الإمامة إذا كانت إمامة الصلاة تحتاج إلى أن يكون المرء الذى يؤم المصلين أفقههم فى دين الله وأقرؤهم لكتاب الله وأرعاهم لحدود الله، فما بالكم بإمامة الخلق فى الدعوة إلى الله ؟

فهذه تحتاج إلى أن يكون المرء شديد الحذر، شديد الورع، شديد الأخذ بدين الله، شديد التمسك بحبيب الله ومصطفاه فى كل أنفاسه، فلا يتحرك حركة ! ولا يسكن سكنة ! إلا إذا قاسها بما ورد عن حبيب الله ومصطفاه، ولا ينطق بكلمة إلا إذا وزنها ! لأنه يؤخذ منه بالكلمة، كلمته ميزان ! !يزن بها الناس أحوالهم وأعمالهم وأفعالهم:

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ﴾ (١٥٣ الأنعام)

فانظر لم يقل الله ﷻ فامشوا عليه! ولكن (فَٱتَّبِعُوه) !..

إذاً الصراط المستقيم فى الآية مَن؟.. رسول الله ﷺ ..

فقد وصل فى دقته فى العمل بأوامر الله إلى أنه صار كالصراط المستقيم والذى ذكر ذلك هو مولاه جل فى علاه، وصل فى دقته فى مراعاة حدود الله وتطبيق أوامر الله إلى أن قال لنا فيه الله (٧ الحشر):

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ (٣-٤ النجم)

أوصاف الدعاة المخلصين

فنصيبنا ونحن جميعاً نتطلع إلى هذا الشرف العظيم وهذه المنزلة الكريمة، أن نكون من الأئمة الذين يأخذون بأيدى الخلق إلى حضرة الله، أن نعلم علم اليقين مشقة الإمامة في حسن المتابعة والصدق خلف رسول الله ﷺ، لابد أن يكون أول آخذ بما يأمر به غيره وأول منتهٍ عما ينهى عنه غيره حتى يكون إماماً خلف رسل الله وأنبياء الله وأصفياء الله الذين جعلهم الله ﷻ قدوة لنا وأسوة طيبة لنا فى هذه الحياة.

هذه الإمامة لا بد للمرء حتى يوفّى ما عليه لله أن يجعل قلبه كله لمولاه، لأن الذي يتعرض للخلق لدعوة الله لا بد أن يتعرض للأذى، ولابد أن يتعرض للحاقدين وللحاسدين ولأهل الشر أجمعين، وعليه ألا يلتفت إليهم طرفة عين أو أقل، وإنما يوجه وجهه إلى مولاه، ولا يلتفت إلى غيره طرفة عين ولا أقل حتى يُتم الله ﷻ عليه نعماه ويتفضل عليه ﷻ بخالص عطاياه.

وقصص الأنبياء والمرسلين لأصحاب هذا الميدان هى السلوى وهى الأسوة وهى العبرة وهى البرهان ولذلك قال الله تعالى(١١١ يوسف):

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ ﴾

وقال للحبيب ﷺ (١٢٠ هود): ﴿ وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾

أنزل الله عليه أنباء المرسلين وأخبار النبيين ليثبت به فؤاده عندما يتعرض لدعوة الله والخلق الله أجمعين .

فيا أحباب الله ورسوله:

ويا مَن تتطلعون إلى الإمامة العظمى :

وهى دعوة الخلق إلى الخالق ﷻ عليكم بمدارسة سير الأنبياء والمرسلين وإمامهم سيد الأولين والآخرين حتى تستضيئوا بنور اليقين وتهتدوا بنورهم إلى الطريق الذى يحبه رب العالمين .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

نبذة عن المؤلف فضيلة الأستاذ



✿ **تاريخ ومحل الميلاد:** ١٨/١٠/١٩٤٨م ، الجميزة – مركز السنطة – محافظة الغربية – جمهورية مصر العربية.

✿**المؤهـــل:** ليســـانس كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ١٩٧٠م .

✿**العمـــل:** مدير عام بمديرية طنطا التعليمية.

✿**النشـــاط :** ١– يعمل رئيسا للجمعية العامة للدعوة إلى الله بجمهورية مصر العربية، والمشهرة برقم ٢٢٤ ومقرهـا الرئيسى ١١٤ شارع ١٠٥ حدائق المعادى بالقـاهرة، ولهـا فروع فى جميع أنحاء الجمهورية.

٢– يتجول فى جميع محافظات الجمهوريـة، والـدول العربية والإسلامية لنشر الدعوة الإسلامية، ولإحيـاء المُثـل والأخلاق الإيمانية بالحكمة والموعظة الحسنة .

٣– بالإضافة إلى الكتابات الهادفـة إلى إعـادة مجـد الإسـلام العظيم .

٤– والتـسجيلات الـصوتية و الوسـائط المتعـددة

للمحاضرات والدروس على الشرائط و الأقراص المدمجة.

٥- وأيضا من خلال موقعه على شبكة الإنترنت:

WWW.Fawzyabuzeid.com

وقد تمت المرحلة الأولى من تجديد الموقع وجارى إتمام الثانية، وإضافة اللغة الإنجليزية ونقل اللقاءات على الشبكة.

دعـوته :

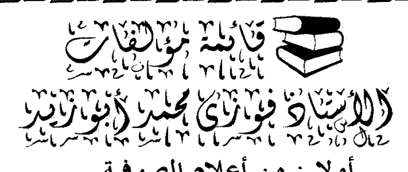
١- يدعو إلى نبذ التعصب والخلافات بين المسلمين والعمل على جمع الصف الإسلامى وإحياء روح الإخوة الإسلامية ، والتخلص من الأحقاد والأحساد والأثرة والأنانية وغيرها من أمراض النفس.

٢- يحرص على تربية أحبابه على التربية الروحية الصافية بعد تهذيب نفوسهم وتصفية قلوبهم .

٣- يعمل على تنقية التصوف مما شابه من مظاهر بعيدة عن روح الدين ، وإحياء التصوف السلوكى المبنى على القرآن وعمل رسول الله ﷺ، وأصحابه الكرام .

هدفه :

إعادة المجد الإسلامى ببعث الروح الإيمانية ، ونشر الأخلاق الإسلامية وترسيخ المبادئ القرآنية.وصلى الله على سيدنا محمد على آله و صحبه و سلم



أولا : من أعلام الصوفية

١– الإمام أبو العزائم المجدد الصوفى ٢– الشيخ محمد على سلامة سيرة وسريرة، ٣– المربى الربانى السيد أحمد البدوى ٤– شيخ الإسلام السيد إبراهيم الدسوقى

ثانيا : الدين والحياة :

٥– زاد الحاج و المعتمر (٢ط) ٦،٧– نفحات من نور القرآن ج١، ج ٢، ٨– مائدة المسلم بين الدين و العلم، ٩– نور الجواب على أسئلة الشباب ، ١٠– فتاوى جامعة للشباب، ١١– مفاتح الفرج (٦ط) (ترجم للأندونسية)، ١٢– تربية القرآن لجيل الإيمان، (ترجم للإنجليزية والأندونسية)، ١٣– إصلاح الأفراد و المجتمعات فى الإسلام ١٤– كيف يحبُك الله (تحت الترجمة للأندونيسية)، ١٥–كونوا قرآنا يمشى بين الناس (تحت الترجمة للأندونيسية)، ١٦– المؤمنات القانتات، ١٧– فتاوى جامعة للنساء، ١٨– قضايا الشباب المعاصر

الخطب الإلهامية : المجلد الأول : المناسبات

١٩– ٢٤: ج١: المولد النبوى،ج٢: الإسراء و المعراج، ج٣: شهر

شعبان و ليلة الغفران، ج٤: شهر رمضان و عيد الفطر، ج٥: الحج و عيد الأضحى، ج٦: الهجرة و يوم عاشوراء.

ثالثا : الحقيقة المحمدية :

٢٥- حديث الحقائق عن قدر سيد الخلائق (ثلاثة طبعات) ٢٦-الرحمة المهداة ٢٧- إشراقات الإسراء-ج١(٢ط)، ٢٨- إشراقات الإسراء (ج٢)، ٢٩- الكمالات المحمدية ٣٠- واجب المسلمين المعاصرين نحو الرسول ﷺ (ترجم للإنجليزية وجارى نشره).

رابعا : الطريق إلى الله :

٣١- طريق الصديقين إلى رضوان رب العالمين (ترجم للأندونسية)، ٣٢- أذكار الأبرار، ٣٣- المجاهدة للصفاء و المشاهدة، ٣٤-علامات التوفيق لأهل التحقيق، ٣٥- رسالة الصالحين،٣٦- مراقى الصالحين، ٣٧- طريق المحبوبين و أذواقهم ٣٨- كيف تكون داعياً على بصيرة

خامسا : دراسات صوفية معاصرة :

٣٩- الصوفية و الحياة المعاصرة، ٤٠- الصفاء والأصفياء ٤١- أبواب القرب و منازل التقريب، ٤٢- الصوفية فى القرآن والسنة (٢ط) (ترجم للإنجليزية).٤٣- المنهج الصوفى والحياة العصرية ٤٤- الولاية والأولياء ٤٥- موازين الصادقين ٤٦- الفتح العرفانى

سادساً: سلسلة ما قلّ و دلّ

٤٧- مختصر مفاتح الفرج (٢ط)، ٤٨- أذكار الأبرار (٢ط) ، ٤٩- أوراد الأخيار (تخريج وشرح).

سابعاً: سلسلة شـفاء الصدور

٥٠- علاج الرزاق لعلل الأرزاق ٥١- بشائر المؤمن عند الموت

٥٢- العبد الصالح وموسى عليه السلام

ثامناً: تحت الطبع للمؤلف :

أولاً: من أعلام الصوفيـــة :

١- الشيخ الكامل السيد أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه

ثانياً: الدين والحيـــاة :

٢- الخطب الإلهامية: المجلدالأول: المناسبات (الطبعة ثانية،إقتصادية)

٣- كيف يحبك الله (الطبعة الثانية).

ثالثاً: الحقيقة المحمديـــة :

٤- الصلوات الإلهاميَّة.

رابعاً: الطريـــق إلى الله :

٥- الحكم الإلهاميَّة.

٦- طريق الصديقين إلى رضوان رب العالمين (ط٢)

خامساً: دراســات صوفيــة معاصرة:

٧- حقائق التصوف النقيّـة

٨- سياحة العارفين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

محتويات الكتاب

الموضوع	صفحة
المقـــدمة	٤
الفصل الأول	١٠
منهج الداعي الحكيم	١٠
أوصاف الداعي الحكيم	٢٤
وصيـــــــــــة	٣٣
الفصـــــــل الثانى	٣٨
دعوة الرجل لأهله وذويه	٣٨
الدعـــوة بالرفق واللين	٤٠
موطن العزيمة الصحيح	٤٢
وسطية الدعوة	٤٤
منهج الدعوة الحكيمة	٥٠
مسئولية الداعى نحو أسرته	٥٢
الفصـــــــل الثالث	٥٦
دعوة أصحاب رسول الله ﷺ إلى الله	٥٦
الفصـــــــل الرابـــــــع	٦٥
نموذج لأساليب دعوة العارفين الحكيمة	٦٥
العارف بالله الشيخ محمد على سلامة	٦٥

الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة	٦٥
من هدى الشيخ سلامة فى خطبة الجمعة	٧٢
الأنـــاة والرغبة فى عدم الظهور	٧٤
الفصــــل الخامس	٧٨
الدعوة إلى الله بإذن من رسول الله ﷺ	٧٨
نماذج من الأذن بالدعوة ومتى يكون؟	٨٠
مقام الكتابة عند العارفين	٨٥
أسرار كتابة العارفين	٩١
صـــدور الرجال	٩٦
الفصــــل السادس	١٠١
الإمامة أو دعوة الخلق إلى الله ﷻ	١٠١
ســـرُ إختيار الله للأئمة	١٠٢
حكـــمة الإبتلاء للأنبياء	١٠٥
إبتلاء نبى الله إبراهيم	١٠٧
الإمامـــة والإقتداء	١١٠
أوصـــاف الدعاة المخلصين	١١٥
نبذة عن المؤلف الأستاذ فوزى أبوزيد	١١٧
قائمة مؤلفات الأستاذ فوزى أبوزيد	١١٩
الفهرســـت	١٢٢
للحصول على مؤلفات الأستاذ فوزى أبوزيد	١٢٤

للحصول على مؤلفات الأستاذ فوزى أبوزيد

إسم المكتبة	رقم الهاتف	أولاً: القاهرة والجيزة
المجلد العربي	٢٥٩١٢٥٢٤	١١٦ ش جوهر القائد، الأزهر
مكتبة الجندي	٢٥٩٠١٥١٨	سوق أم الغلام، ميدان الحسين،
دار المقطم	٢٧٩٥٨٢١٥	٥٢ ش الشيخ ريحان، عابدين
الأحمدي للنشر	٢٥٧٤٠٥٠٣	٤٠ طلعت حرب أمام سينما مترو
جوامع الكلم	٢٥٨٩٨٠٢٩	١٧ الشيخ صالح الجعفرى الدراسة
نفيسة العلم	٢٥١٠٤٤٤١	٩ ميدان السيدة نفيسة بجوار المسجد
المصري الحديث	٢٣٩٣٤١٢٧	عمارة اللواء ٢ ش شريف
دار الإنسان	٣٣٣٥٠٠٣٣	١٠٩ ش التحرير، ميدان الدقي
مكتبة مدبولى	٢٥٧٥٦٤٢١	٦ ميدان طلعت حرب
مدبولى مدينة نصر	٢٤٠١٥٦٠٢	طيبة ٢٠٠٠، ش النصر
النهضة المصرية	٢٣٩١٠٩٩٤	٩ ش عدلى جوار السنترال
هلا للنشر والتوزيع	٣٣٤٤٩١٣٩	٦ ش دحجازي، خلف نادي الترسانة
المكتبة الفاطمية	٠١٨٥٢٠٠٨٤٦	ميدان الأزهر، أمام الباب العباسي
أم القرى	٢٥٨٩٨٢٥٣	١٢٨ ش جوهر القائد– الأزهر
الأدبية الحديثة	٢٥٩٣٤٨٨٢	٩ ش الصنادقية بالأزهر
الروضة الشريفة	٢٦٤٤٤٦٩٩	٢١ش د.أحمد أمين، مصر الجديدة

ثانياً : الإسـكندرية

كشك سونا	٠١٢٤٦٠٩٠٨٢	محطة الرمل، أمام مطعم جاد
معرض الكتاب السكندرى	٠١٠١٢٣٢٦٩٨	محطة الرمل، صفية زغلول
كشك محمد سعيد موسى	٠١١٤١١٤٣٠٠	٦٦ شارع النبى دانيال، محطة مصر
مكتبة الصياد	٠٣-٣٩٢٨٥٤٩	٤ ش النبى دانيال، محطة مصر
مكتبة سيبويه	٠٣-٥٤٦٢٥٣٩	٢٣ المشير أحمد إسماعيل، سيدى جابر

ثالثاً : المحافظات الأخرى

كشك عبدالحافظ محمد عبدالحافظ	-----------	الزقازيق، بجوار مدرسة عبد العزيز على
مكتبة عبادة	٠٥٥-٢٣٢٦٠٢٠	الزقازيق – شارع نور الدين
مكتبة تاج	٠٤٠-٣٣٣٤٦٥١	طنطا أمام السيد البدوى
مكتبة قربة	٠٤٠-٣٣٢٣٤٩٥	طنطا، ٩ ش سعيد مع شارع المعتصم – أمام كلية التجارة
مكتبة الإيمان	---------	فايد- الحاج أحمد غزالى بربرى
كشك الصحافة	الحاج حسن خيرى	السويس- شارع الشهداء
أولاد عبدالفتاح السمان	-٠٩٣- ٢٣٢٧٥٩٩	سوهاج- ش احمد عرابي، أمام التكوين المهنى
كشك أبوالحسن	٠١٦٩٥١٨٦١٦	قنا – أمام مسجد سيدي القناوى

دار الأحمدي للنشر	-٠٦٨- ٢٣٤٧٨٠٢	المنيا، أبراج الجامعة، أمام الشبان المسلمين

أيضاً بدور الأهرام والجمهورية والأخبار للتوزيع، و دار الشعب، والدور القومية للتوزيع والنشر، ومن المكتبات الكبرى الأخرى بالقاهرة والجيزة والأسكندرية والمحافظات.

ويمكن الإطلاع إليكترونيا على نبذة مختصرة عن المؤلفات مع المقدمة والفهرست على أكبر موقع علمي للكتاب العربي على الإنترنت www.askzad.com

كما يمكن تنزيل الكتب إليكترونيا بشروط الموقع.

تم بحمد الله تعالى وتوفيقه

وصلى الله على سيدنا محمد إمام الدعاة وعلى آله وصحبه وسلم

لملاحظات القارىء الكريم:----------------------------

-- --------------

غلاف مجلد الخطب الإلهامية وسيطبع طبعة ثانية إقتصادية قريبا إنشاء الله ، وهو يشمل خطب المناسبات الدينية.

